ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

العدد 16 أيـــار 2014

لافتة نظري

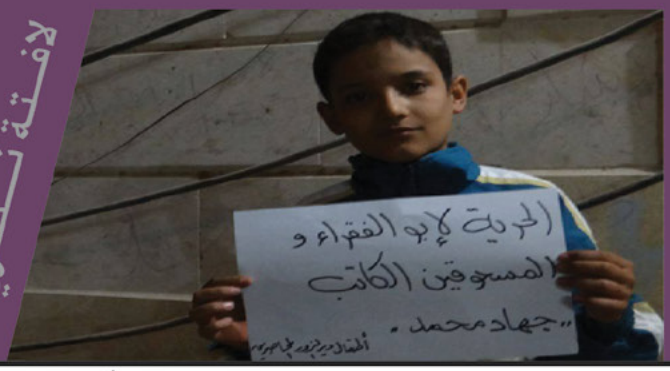

لوحة الغلاف : الفنان أنس سلامة

تقرؤون في هذا العدد

ملف
عن المدنية والمجتمع المدني
علي حمودي
3

ع البيدر
سهير الأتاسي على بيدر حنطة
حوار ناجي الجرف
18

حصيدة
الجمعيات الخيرية تنقذ حلب من المجاعة
عثمان إدلبي
20

جرن حنطة
من الفرات إلى النيل
نور مارتيني
28

حكايا البيدر
مرض شلل الأطفال
د. سامر العمري
32

رحى
الليرة السورية من الولادة إلى الطعن في الخاصرة
د. عبد الله الفراتي
36

حنطة حلب
الاغتصاب . . جريمة الحرب الصامتة
اللوموند ـ آنك كوجان
38

خميرة
مغامرة كادت تودي بطاقم فيلم فاز بجوائز عالمية
عارف حمزة
42

حنطة بلدية
أمومة على غير موعد !!
لبابة الهواري
49

الحرية لأبو الفقراء جهاد أسعد محمد

اعتقلت أجهزة الأمن السورية الصحفي «جهاد أسعد محمد» يوم السبت 10/آب/2013، أثناء توجهه إلى «شارع الثورة» في العاصمة السورية دمشق .

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

هيئة التحرير

رئيس التحرير : ناجي الجرف
مدير التحرير : بشرى جود
المدير الفني : بحر عبد الرزاق
الإخراج والتصميم : محمد أبو زيد

فريق التحرير
ثابت اسماعيل
جمال حسون
جنان علي
خضر سلمان
علي حمودي
غياث عبد العزيز
ليندا بلال

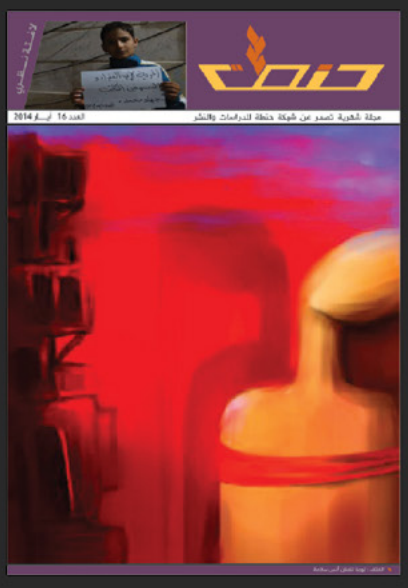

إن الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com
hentamagazine@gmail.com
www.facebook.com/Wheat.salamieh

عن المدنية و المجتمع المدني

علي حمودي

مفهوم المجتمع المدني

قام الباحثون باجتهادات كثيرة لتوضيح مفهوم المجتمع المدني والوصول إلى تعريف وافٍ و دقيق، وكما نقل سعيد بن سعيد العلوي (١) أن الجابري يرى أن عبارة المجتمع المدني بالنسبة للغة العربية، تكتسب معناها من مقابلها الذي هو «المجتمع البدوي»، تماماً كما فعل ابن خلدون حينما استعمل «الاجتماع الحضري» ومقابله «الاجتماع البدوي»، كمفهومين إجرائيين في تحليل المجتمع العربي في عهده والعهود السابقة له (أيضاً اللاحقة)، وبما أن القبيلة هي المكون الأساسي في البادية العربية فإن «المجتمع المدني» سيصبح المقابل المختلف إلى حد التضاد لـ «المجتمع القبلي».

التعريف الاصطلاحي

يشير حسنين توفيق إلى «المجتمع المدني» على أنه عبارة عن مجموعة من الأبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية التي تنتظم في إطارها شبكة معقدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الاجتماعية في المجتمع، ويحدث ذلك بصورة ديناميكية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات التطوعية التي تنشأ وتعمل باستقلالية عن الدولة.

ووسع سعد الدين إبراهيم (٢) لاحقا مفهوم «المجتمع المدني» بأنه مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، لتحقيق مصالح أفرادها، ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي.

لكن المعنى الأكثر شيوعاً هو تمييز المجتمع المدني عن الدولة، بوصفه مجالاً للمجموعات والجمعيات المستقلة، مثل جمعيات رجال الأعمال وجماعات الضغط والأندية والعائلات، إلى أن استقرّ الرأي من خلال الدراسات الأكاديمية والميدانية والمتابعة التاريخية لنشأته وتطوره أن (المجتمع المدني هو مجموعة التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، أي بين مؤسسات القرابة ومؤسسات الدولة التي لا مجال للاختيار في عضويتها، هذه التنظيمات التطوعية الحرة تنشأ لتحقيق مصالح أفرادها أو لتقديم خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والاختلاف).

وللمجتمع المدني بهذا المفهوم أربعة مقومات أساسية هي:

- الفعل الإرادي الحر أو التطوعي.
- التواجد في شكل منظمات.
- قبول التنوع والاختلاف بين الذات والآخرين.
- عدم السعي للوصول إلى السلطة.

الأسد الأكبر:

بعد حكم ديموقراطي تعددي قصير الأمد نسبياً، وخلال عهد الجمهورية الأولى، استلم حزب البعث السلطة في سوريا بانقلاب عسكري عرف باسم ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣، وظهرت عدة خلافات بعد انقلابه داخل أجنحة الحزب نفسها، واستمرت طوال فترة ١٩٦٣ - ١٩٧٠، حيث قام انقلابٌ عسكري آخر عُرف باسم الحركة التصحيحية عام ١٩٧٠، والتي أوصلت وزير الدفاع، حافظ الأسد إلى رأس السلطة.

أسس الأسد نظاماً قوياً معتمداً على القبضة الأمنيّة داخلياً، وسلسلة من التحالفات خارجياً، والتي ضمنت له أن يكون أطول حاكم للبلاد منذ زوال العثمانيين، انتخب خلالها أربع ولاياتٍ بنسبةٍ رسميّة هي ١٠٠ ٪ من الأصوات، وكفل دستور ١٩٧٣ الذي أصدره صلاحياتٍ منقطعة النظير له ولحزبه، ونصّت مادته الثامنة على كون حزب البعث هو (الحزب القائد للدولة والمجتمع)، هذه المادة التي ومن خلالها حوّل حافظ الأسد عقائده وأفكاره إلى جزءٍ من مؤسسات الدولة والمناهج الدراسيّة واحتكار المناصب العليا، وسلسلةٍ من الامتيازات الأخرى، مع شبه غيابٍ للحريات السياسيّة أو الاقتصاديّة، أو حتى منظمات المجتمع المدني، مما جعل سوريا التي كانت

أحد اجتماعات إعلان دمشق في المهجر

يوماً ما مثالاً يحتذى في التجارب المدنية والديمقراطية ودولةً كانت مهيأةً لتنافس دولاً كبرى في التقدم والرقي، إلى دولةٍ جعلها حافظ الأسد تحت رحمة (البعث) الحاكم الأوحد لكل ما هب ودب على الأرض السورية، فانكفأ المواطن على نفسه متناسياً حقوقه وواجباته وصار همّه الأول والأخير الابتعاد عن طريق الأجهزة الأمن، بعد محاولاتٍ كثيرة دفع فيها خيرة شباب سوريا ورجالاتها أعمارهم وحياتهم ثمناً لها، وقضى بعضهم سنواتٍ طويلة امتدت إلى أكثر من عشرين عاماً دونما محاكمات أو تهم واضحة، وتحت رحمة جلادين لا علاقة لهم بالإنسانية، مرت عقودٌ طويلة من القمع والقهر والاستبداد والسياسة التي حولت الشأن العام لملكية عائلةٍ واحدة لم تنشر إلا الفساد والفقر والتخلف وقمع الحريات وتغييب القانون، تحت غطاء قوانين ومحاكم استثنائية يستخدمها الحاكم كيفما يشاء، في ظل سيطرة أجهزة الأمن والمخابرات على كل مفاصل الحياة السياسية وعلى منظومة القضاء كاملةً، ابتداءً من أصغر الموظفين وانتهاءً بأكبر القضاة، وفي غياب تام لأي نشاط مجتمعي، وذلك باختزال جميع النشاطات الاجتماعية في منظماتٍ شبه حكومية نفعية مترهلة تحت مسمّياتٍ براقة كثيرة، حيث كانت قوانينها وانتخاباتها تعيَّن من قِبل السلطة، ولا عمل لها سوى أن تكون بوقاً للنظام الحاكم، فأنشأت النقابات والاتحادات والمنظمات التي تندرج تحت تسمية منظمات المجتمع المدني، وبلغ تعدادها في جميع أنحاء سوريا قبل ثورة الكرامة (٢٩٠)، علماً أن عدد المنظمات في أي مدينةٍ أوربيةٍ صغيرة يتجاوز هذا العدد بكثير، ليبلغ في بعض الأحيان الـ (٣٠٠٠) منظمة، كنقابات العمال والفلاحين والمحامين والأطباء والاتحادات النسائية والعمالية والطلابية والشبيبة، وإلى ما هنالك من مسمياتٍ لا تمت للواقع بصلة، ولا تحتاج للكثير من البحث لتكتشف كيفية السيطرة الكاملة لحزب البعث على هذه المنظمات، فإن لم يُعلِن اسمها عنها لك (اتحاد شبيبة الثورة الرديفة لحزب البعث العربي الاشتراكي) فهو في المضمون، والمواطن السوري العادي لا يستطيع أن يعرف أن هذه المنظمات هي مدنية، لأن شعار البعث يوضَع في مكاتبها حتى قبل أن تُبنى.

في ١٩٧٩ انطلقت في البلاد ما عرف باسم (احتجاجات النقابات العمالية)، التي تحوّلت لاحقاً لصدام عسكريّ امتدّ حتى ١٩٨٢، ارتُكبت في ختامه مجزرة حماه ضمن أحداث ١٩٧٩ - ١٩٨٢.(٣).

رحل حافظ الأسد، المالك الرسمي لحزب البعث والدولة والمجتمع، عن عمر رئاسيّ يبلغ ثلاثة عقودٍ واستبشر السوريون خيراً بعد فترة ظلام امتدت ثلاثين عاماً، قضى فيها حافظ الأسد على كل مظهرٍ من مظاهر المجتمعات المدنية.

ما بعد الأسد الأب

كان الجو العام خلال فترة حكم الأسد الأب مشحوناً بشكل متطرف بدعاية النظام ومشاركة الإعلام السوري في التكرار اللامتناهي للشعارات والعبارات المضجرة للتأثير على أي انعكاس نقدي محتمل، لجعله أقل صراحة، ودعمت الفترة التي تلت اعتلاء بشار الأسد للرئاسة في عام ٢٠٠٠، أولئك الذين تحدّوا نموذج نظام الأسد، فقد شهدت هذه المرحلة فتوراً في هذا الشكل من الدعاية للنظام، وتضافر ذلك مع صعود وسائل الإعلام العابرة للحدود، وبداية

العمل والحراك المدني على الأرض، ومن هنا بدأت أفكار بعض الناشطين تجد طريقاً إلى النور. فبدأت فكرة المنظمات المدنية تأخذ شكلها وتتحول إلى تجارب على أرض الواقع والبداية كانت في عام ٢٠٠١ في الفترة التي سبقت إعلان دمشق في خطوةٍ قام بها المفكر أنطوان مقدسي (٤)، عندما قام بتوجيه رسالةٍ مفتوحة إلى الرئيس بشار الأسد متحدثاً فيها عن رؤيته للحلول وانتقاداته لمظاهر الفساد والسلبية، نُشرت الرسالة المفتوحة عبر جريدة الحياة. فما كان من مها قنوت، وزيرة الثقافة آنذاك، إلا أن تجبره على الاستقالة من منصبه -الذي كان، أصلاً، يشغله بالتعاقد فقط- في مديرية التأليف والترجمة، لأنه تجاسر وكتب رسالةً مفتوحة إلى بشار الأسد، يحثه فيها على تحويل شعب سوريا «من وضع الرعية إلى وضع المواطنة». قال في رسالته لبشار الأسد عام ٢٠٠٠ «الوضع العام، وباختصار يا سيدي: انهيار عام، سياسي واقتصادي وأيضاً ثقافي وإنساني. كفانا يا سيدي من الكلام الفضفاض: مكاسب الشعب، انجازات الشعب، إرادة الشعب. الشعب غائبٌ يا سيدي منذ زمن طويل، إرادته مشلولة، تقوم اليوم على تحقيق هدفين: الأول على الصعيد الخاص، أن يعمل ليلاً ونهاراً كي يضمن قوت أولاده. والثانية على الصعيد العام، أن يقول ما يُطلب منه قوله، وأن يتبنى السلوك الذي يُطلب منه (مسيرات، هتافات...). إن الذي يعصم هذا الشعبَ من الدمار، هو أنه يتعايش مع هذا الوضع المتردي تعايش المريض مع مرض مزمن». كانت هذه هي الرسالة التي دفع ثمنها المقدسي احمرارَ عين السلطة عليه، وذلك في الوقت الذي لم يكن قد صدر بيان التسعة وتسعين بعد والذي لعب دوراً كبيراً في صدوره، كان هاجسه المجتمع المدني الذي يسميه «الحياة» في مقابل «مجتمع الرعية» الذي يسميه «الموت»، وفي مقالة تبسيطيةٍ سمّاها «إلى حفيدي» يفرّق المقدسي بين المواطنين والرعايا. فالأولون لهم حقوقٌ وعليهم واجبات أما الآخرون فعليهم حقوق، أما ما يكسبونه فمنحةٌ من الحاكم في معظم الأحيان، المواطنون يَنتخبون، أما الرعية فتُستفتى، ومع ذلك فهو يعتبر أن معركةً قد بدأت مع الحكم للانتقال من وضع الرعية إلى وضع المواطنة. ويحدد بداية هذه المعركة ببيان (التسعة وتسعين). وفي مكان آخر يصف المقدسي مطالب المثقفين في هذا البيان بأنها «لا أكثر ولا أقل من إبدال الحكم الشمولي بحكم ديموقراطي، وللوصول إلى ذلك لا بد من «فك الحصار عن الشعب، وإزاحة ثقل الأجهزة السرية». كان لابد من الوقوف أمام هذا المفكر، لأنه يُعتبر من المبشرين الأوائل لتجارب الحياة المدنية اللاحقة.

٢٠٠٠/٩/٢٧

في منتصف أيلول ٢٠٠٠ م وبعد رسالة المقدسي، أطلق النائب السوري رياض سيف في منزله بدمشق منتدى أسماه منتدى (الحوار الديمقراطي)، ولاحقاً في تاريخ ٢٠٠٠/٩/٧٣ الذي يعد من أهم التواريخ في الحياة الاجتماعية والسياسية في سوريا، صدر بيان (التسعة والتسعين) الذي كان له وقعٌ مجلجل أيقظ آلاف المحبطين والبائسين في سوريا. ثم لم يمض سوى ثلاثة أشهر و٢١ يوماً حتى ظهر بيان (الألف) الذي صدر بتاريخ ٢٠٠١/١/٩ بصوتٍ أعلى وبنبرة تحدٍ يائسة. ثم تتالت المشاكل على رأس بشار وحزب البعث الذي فقد فجأة أهم دعائم حكمه وهم مشاهير العلمانيين والاشتراكيين في المجتمع السوري. وقد وقّع على بيان (التسعة وتسعون) -الذي يُعتبر أول مظهر علنيّ على نطاق واسع بعد موت حافظ الأسد، يُعبّر فيه عن تذمر المجتمع المدني من القهر والاستبداد، وغياب الديمقراطية والحرية الفكرية ومشاهير العلمانيين السوريين ومنهم: صادق جلال العظم، أدونيس، حيدر حيدر (صاحب رواية وليمة لأعشاب البحر)، وأساتذة جامعيون وكتّاب ليبراليون ومنهم: أنطوان مقدسي، برهان غليون، ميشيل كيلو، حازم العظمة، رضوان قضماني، صهيب طليمات، مالك سليمان، وفيق سليطين، سهيل شعبان، وصحافيون ومحامون وأطباء وفنانون ومهندسون الخ...

وأهم ما جاء في هذا البيان :

- إنهاء حالة الطوارئ والأحكام العرفية المطبقة فعلياً في سوريا منذ عام ١٩٦٣.
- العفو عن جميع المساجين السياسيين وسجناء الضمير، وأولئك الملاحقين بسبب أفكارهم السياسية، والسماح بعودة المُرحّلين والمواطنين المنفيين.
- إقامة دولة القانون، ومنح الحريات العامة، والاعتراف بالتعددية السياسية والفكرية وحرية التجمعات والصحافة والتعبير.
- تحرير الحياة العامة من قوانين التقييد والإكراه والأشكال المتنوعة من الرقابة المفروضة عليها، بحيث يُسمح للمواطنين بالتعبير عن اهتماماتهم المختلفة، ضمن إطار التناغم الاجتماعي والمنافسة السلمية والتكوين المؤسساتي الذي يتيح للجميع فرصة المشاركة في تطوير البلاد ورفاهيتها.

ما من إصلاح سواء أكان اقتصادياً أو إدارياً أو قانونياً سوف يحقق الهدوء والاستقرار في البلاد ما لم يترافق بشكل كامل مع الإصلاح السياسي المرجو، الذي يمكنه وحده أن يقود مجتمعنا إلى برّ الأمان. ومن الغريب في هذا البيان أنه لا وجود لأسماء أيّ مفكرين أو ناشطين إسلاميين.

بيان الألف الصادر في الصحافة العربية في ٢٠٠١/١/٩

ويقع البيان في ثمانية صفحات، يشرح فيها صوراً من مآسي الشعب السوري وآلامه ومعاناته من فساد نظامه السياسي، وقد استشعر الموقعون أهمية إشاعة مفاهيم الحرية والمساواة وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، وأدركوا حجم المخاطر المحتملة التي يمكن أن تنجم عن عجز المجتمع وضعف قدراته على النهوض والتقدم، بفعل تفكك روابطه وعطالة السلطة الشمولية واستشراء الفساد، متطلعين إلى حكم رشيد يتيح فرصاً متساويةً لسائر القوى الاجتماعية في الحياة العامة، وحملت وثيقتهم توافقاً عريضاً على مبدأ الحوار الوطني العام، واتخذت موقفاً إيجابياً من الإصلاح الذي يجب أن يكون شاملاً، وعصبه الأساسي الإصلاح السياسي، وبيّنت هذه الوثيقة أن لجان إحياء المجتمع المدني، لجانٌ مجتمعية مستقلة لا مركزية وغير حزبية، تنبذ العنف والقمع والإكراه وتعتمد الحوار والنضال السلمي سبيلاً لحل المشكلات، وتهدف إلى تنشيط الحياة العامة، واستعادة المواطنين إلى حقل العمل العام والمشاركة الإيجابية، وإلى إعادة إنتاج الثقافة والسياسة في المجتمع بوصفهما شرطين أساسيين من شروط التقدم والبناء الديمقراطي.

ترافقت هذه النشاطات بتزايد ظاهرة المنتديات السياسية والفكرية في مختلف المدن السورية، بمشاركةٍ من مختلف الأطياف، بما فيها شخصيات من حزب البعث، وعلى الرغم من رفض السلطات إعطاء منتدى (جمال الأتاسي) ترخيصاً بنشاطاته، إلا أنه تابع اجتماعاته وأعلن أنه منتدى مستقل عن الأحزاب، وقام بتعيين المحامي حبيب عيسى ناطقاً باسمه، واهتم هذا المنتدى بعد إطلاقه بقضايا السياسة والفكر والثقافة وتعزيز قيم الحوار الديمقراطي، ومارس أنشطته من خلال ندوةٍ شهرية علنية إضافة إلى عددٍ من موائد النقاش المفتوحة. ومن المنتديات التي لا مجال لذكرها كلها أيضاً منتدى (عبد الرحمن الكواكبي) في حلب، الذي أُغلق في تشرين الأول ٢٠٠٢ بعد منع عبد المجيد منجونة (٥) الناطق الرسمي باسم المنتدى من إلقاء محاضرةٍ عن (النّظام الانتخابي في سورية). لقد تضاعفت المنتديات التي تُعقد في منازل، حيث تُطرح مسائل سياسية ببعض الحرية في أنحاء سوريا ليبلغ عددها ال ٧٠، ولكن سرعان ما تبدل الحال، وقامت السلطات بفرض إجراءاتٍ على هذه المنتديات، وإخضاعها لعددٍ من الشروط، مثل طلب إذن مسبق من السلطات، وتقديم لائحة بالمشاركين، وهذا ما رأى المنظمون أن تلبيته «شبه مستحيلة». لكن تجربة المنتديات المفتوحة لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما أغلقتها السلطات السورية واحداً تلو الآخر، واعتقلت معظم نشطاء المجتمع المدني المشاركين فيها، وكان منتدى الأتاسي هو آخر منتدى يتم إغلاقه بعد غضّ السلطات السورية النظرَ عن أنشطته حتى عام ٢٠٠٥ ، وجرى إغلاق المنتدى في ذلك العام بسبب إلقاء الناشط الحقوقي علي العبد الله كلمةً فيه أرسلها المرشد العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة في سوريا (صدر الدين البيانوني). وترافق ظهور المنتديات بظهور نشاطاتٍ ومنظماتٍ أخرى تُعنى بالشأن المدني والحقوقي السوري، ففي عام ٢٠٠٥ قام أكثم نعيسة بتأسيس مركز (الشام للدراسات الديموقراطية وحقوق الإنسان في سوريا)، ويُذكر أن ممن كانوا معه في مشروعه: الناشط رضوان زيادة، ورزان زيتونة، وآخرون.

وفي المرحلة ذاتها تطورت الأحداث في بعض المناطق لتندلع فيها احتجاجاتٌ سارع الأسد إلى تطويقها والقضاء عليها كما فعل باحتجاجات أكراد القامشلي والحسكة وحلب، والتي اندلعت لسببين، سبب أساسي تاريخي، وهو أن نسبةً كبيرة من السوريين الأكراد لا يحملون الجنسية السورية، ولا يحملون هوياتٍ شخصية، وليس لهم أيةَ حقوق في بلدهم، ولم يستطيعوا عبر تاريخ الأسد الطويل الحصول على أقل حقوقهم المدنية، أو إقامة أيةَ نشاطاتٍ وتنظيماتٍ أو أحزابٍ سياسية، كما حوربت ثقافتهم الكردية ومُنعت صحفهم وإعلامهم، مما سبب الاحتقانَ الشعبيّ العام، والرفض لنظام الحكم الذي يلغي حياتهم الاجتماعية والثقافية والمدنية. والسبب الآخر الذي كان الشرارة، هو أحداثٌ وقعت بتاريخ ١٢ مارس عام ٢٠٠٤ في مدينة القامشلي السوريّة (أقصى شمال شرق سوريا) ذات الغالبية الكردية، والتي أدت إلى مقتل العشرات من الأكراد إثر خلافٍ في مباراة كرة قدم تطوّر إلى مواجهاتٍ عنيفةٍ بين الأكراد وبعض العشائر العربية، سرعانَ ما تدخّلت فيها قوات الأمن السوريّة، ثم امتدت الاضطرابات إلى بقية المدن التي فيها أكراد، واستمرت ستة أيام، وتُعتبر هذه الأحداث من أسوأ الاضطرابات التي شهدتها المناطق الكردية في سوريا، وكانت حصيلة المواجهات ٠٤ شهيداً وفق مصادر كردية، و٢٥ شهيداً وفق حصيلةٍ رسمية سوريّة، ومئات الجرحى، ونحو ٢٠٠٠ معتقل كردي وفق مصادر الأكراد، مع ادعاءاتٍ عن تعرضهم للتعذيب الوحشي في الأقبية المظلمة لأجهزة الأمن السوري، وما رافقها من هجمةٍ إعلاميةٍ موجهة كالعادة، اتُهمت فيها جهات كردية خارجية بتحريض من الولايات المتحدة بدعم المتظاهرين لفصل منطقة القامشلي عن سوريا. ويُذكر من السياسيين الأكراد: عبد الحميد درويش وهو من زعامات الحركة الكردية في سوريا، وهو من أقدم السياسيين الأكراد في سوريا. حيث أسس بالاشتراك مع حمزة نويران وأوصمان صبري أول حزب كردي في سوريا عام ١٩٥٧. وهو نائب الأمين العام لإعلان دمشق الذي ينصّ في أحد بنوده على إيجاد حلٍ عادل للقضية الكردية في سوريا، باعتبارها ثاني أكبر قوميةٍ في البلاد، والاعتراف الدستوري بالشّعب الكردي. ويرى حزبه أن حلّ القضية الكردية حلٌ وطني، وهو جزء من المشاكل الوطنية السورية بشكلٍ عام.

ونلاحظ مما سبق أن النشاط السياسي والمدني شمل كل أنحاء سوريا، ولم يكن وقفاً على جهةٍ أو طائفة أو قومية معيّنة، بل كان الشارع السوري يشهد نشاطاً وانتعاشاً سياسياً ومدنيّاً لم يسبق له مثيل عبر فترة حكم الأسد، نشاطٌ عبّر وبقوّة عن مدى وعي السوريين لأهمية الحياة المدنية والمجتمع المدني من جهة، والاستبداد الذي عاشوه من جهةٍ أخرى. كان ربيع دمشق هو الجو العام الذي سهّل الطريق أمام الناشطين السوريين على اختلاف ألوانهم لتحقيق الخطوة الأهم في فترة هذا الربيع، ألا وهي (إعلان دمشق).

إعلان دمشق ٢٠٠٥

إعلان دمشق اسمٌ يطلق على الوثيقة التي وقّعت عليها عام ٢٠٠٥ شخصيات بارزة من المجتمع المدني والإسلاميين والليبراليين السوريين، وتدعو إلى إنهاء ٥٣ عاماً من حكم أسرة الأسد لسوريا واستبداله بنظام ديمقراطي. ووثيقة إعلان دمشق هي الجامعة لقوى التغيير الوطنيةُ المعارضة في سوريا، وتحتوي على بنودٍ أساسيةٍ ترسم خطوطاً عريضةً لعملية التغيير الديمقراطي في سوريا، وكيفية إنهاء النظام الأمني الشمولي الذي سيطر على الشعب السوري ومقدراته أكثر من أربعين عاما. تميّز إعلان دمشق بأنه أول إعلانٍ معارض يصدر عن جهاتٍ سورية معارضة في الداخل السوري، بعد أن كانت هذه البيانات من اختصاص المعارضة في الخارج، وينحو هذا الميثاق إلى صيغةٍ توفيقية بين قوى وطنية علمانية متعددة، وحزب الإخوان المسلمين السوري، ومن هنا يأتي تأكيده على أهمية الإسلام كدينٍ للأكثرية، وفي نفس الوقت تأكيده على مساواةٍ شاملة في حقوق المواطنة لكل مواطنٍ سوري، بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الطائفي. يؤكّد الميثاق أيضاً على ضرورة إيجاد حلٍ عادل للقضية الكردية، مع أنه لا يرسم خطوطاً واضحةً بهذا الخصوص، ويبرّر الموقعون على إعلان دمشق ذلكَ بأنهم لا يملكون بعد تفويضاً من الشعب السوري لبحث مثل هذه المواضيع مع الأقلية الكردية، لكن التفاوض سيحلّ كل مشكلةٍ بعد إجراء انتخاباتٍ ديمقراطية، والتخلص من النظام الأمني السوري.

وُقّعَ الإعلان في أكتوبر ٢٠٠٥ من قِبل التجمع الوطني الديمقراطي في سوريا بأحزابه الستة (حزب الشعب الديمقراطي السوري - الاتحاد الاشتراكي - إلخ..)، والتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا، ولجان إحياء المجتمع المدني، والجبهة الديمقراطية الكردية في سوريا، وحزب المستقبل، واللجنة السورية لحقوق الإنسان، وشخصياتٍ مستقلة تضم كلاً من رياض سيف، وميشيل كيلو، المفكر الإسلامي جودت سعيد، عبد الرزاق عيد، سمير النشار، وفداء أكرم الحوراني، عادل زكار، وعبد الكريم الضحاك، المحامي هيثم المالح إضافةً إلى نايف قيسية. كما قامت أحزابٌ سوريّة أخرى بضم صوتها إلى الموقعين خلال الاحتجاجات السورية سنة ٢٠١١، مثل المنظمة الآثورية الديمقراطية، وأحزاب كردية أخرى.

من جانبها أعلنت جماعة الإخوان المسلمون في سوريا برئاسة علي صدر الدين البيانوني، التي تتخذ من لندن مقراً لها «تأييدها الكامل لإعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي، ممهداً لانعقاد المؤتمر الوطني الشامل، ومدخلاً للتغيير». طبعاً كالعادة واجه النظام هذا الحراك الشعبي بوحشيةٍ وحملات اعتقالات طالت الكثيرين، وكان لها صدًى كبير على نطاق واسع عربياً وإقليمياً، وقد نددت منظمة «هيومن رايتس ووتش» المعنية بمراقبة أوضاع حقوق الإنسان ومقرها نيويورك في بيان لها، نددت بموجة الاعتقالات في سوريا التي استهدفت نشطاء المعارضة المنتمين إلى ما يُعرف «بإعلان دمشق». وقد اتهم مدير الشرق الأوسط في المنظمة (جو ستروك) في بيانٍ له السلطات السورية «بمعاملة هؤلاء النشطاء كالمجرمين، لأنهم يدعون إلى التغيير السلمي والديمقراطي». وأشار البيان إلى أن معظم المعتقلين وُجّهت إليهم تهم «إضعاف الروح الوطنية»، و«نشر أخبارٍ كاذبة أو مضخمة تؤثر على الدولة»، و«التحريض على الصراع الطائفي». ونقل البيان عن محامي المعتقلين إبلاغ موكليهم قاضي التحقيق تعرضهم خلال الاستجواب إلى «اللكم على الوجه، والصفع والرفس من قبل مسؤولين في أجهزة الأمن»، وقد أعربت المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سوريا عن قلقها البالغ إزاء اتساع نطاق الاعتقالات في سوريا المستندة لإعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في البلاد، والمستمرة منذ ٤٥ عاماً، وطالبت المنظمة بطيّ ملف الاعتقال السياسي، والإفراج فوراً عن جميع السجناء السياسيين ومعتقلي الرأي، بمن فيهم نشطاء إعلان دمشق، وهذا ما لم يحدث، وكما القشة التي قصمت ظهر البعير انفجر الصمت في الشارع السوري مجدداً بعد هذه الحملة التي قضت تماماً على أي نشاطٍ أو عملٍ على أرض الواقع. وانتهى الأمل في التغيير مع نظام قتل كل محاولات الارتقاء بحياة المواطن السوري، وأصيب الحراك المدني بإغماءةٍ لم يستيقظ منها إلا على صراخ أطفال درعا.

١- سعيد بن سعيد العلوي وآخرون، المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٢، ص٤١.
سعيد بن سعيد العلوي. كاتب واكاديمي مغربي.
محمد عابد الجابري، مفكر وفيلسوف عربي من المغرب، له ٣٠مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها «نقد العقل العربي» الذي تمت ترجمته إلى عدة لغات أوروبية وشرقية. ويكيبيديا.
٢- سعد الدين إبراهيم: أستاذ علم الاجتماع السياسي في الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومدير مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية. ولد في قرية بدين مركز المنصورة في دلتا مصر. يعتبر من أقوى الدعاة إلى الديموقراطية في العالم العربي.
٣- التقرير الوطني للتنمية البشرية، الهيئة العامة لرئاسة مجلس الوزراء بالتعاون مع برنامج التنمية للأمم المتحدة.
٤- أنطوان مقدسي (١٩١٤ - ٢٠٠٥م) مفكر وفيلسوف سوري ولد في مدينة يبرود شمال العاصمة دمشق.
٥-عبد المجيد منجونة معارض سوري ومعتقل سابق . مشاركته في إضرابات نقابات المهن العلمية في سوريا.

مؤسسات المجتمع المدني في الداخل بين الطموح وعوائق العمل

مصطفى عبدي

تلعب مؤسسات المجتمع المدني دوراً مهماً في مجالات بناء مجتمع قوي قادر على أداء مهامه في التعافي من حالة الديكتاتورية ورفده بالمشاريع التنموية والثقافية التي تحقق له النماء والازدهار، ضمن رؤية نشر ثقافة الحوار والعمل على تقديم كل ما من شأنه خدمة الناس. وتأتي الرغبة في تأسيس إطار يعبّر عن طموح الناس الذينبدأو للتو يشعرون بوجودهم وكيانهم، ضمن أطر تؤمّن لهم فسحة من الحرية والنشاط لاختيار وتعليم الدروس والاستفادة من الخبرات، وتعلُّم أصول الإعلام وماهيته وأصول الإدارة على أنه عِلم لا يمكن الخوض فيه دون معرفة قواعده وكيفيّة الدفاع عن أنفسهم في ظل التحولات الكبرى ولا سيما في زمن الثورة السورية وتحولاتها البعيدة عن اتباع إيديولوجية أو منبع لموقف سياسي ما، ضمن إطارٍ يحقق لهم الاستقلالية حتى يستطيعوا أن يكونوا بمثابة جسر تواصل بين أصحاب الخبرات والناس. وفي السياق السوري الحالي فإن غالبية المنظمات الغير الحكومية المنشأة حديثاً جاءت في حالة مخاض قيصرية وتعاني من الكثير من التخلخل نتيجة طول فترة الثورة وغياب أي أفق تنظيمي جامع وبنائيّ مُدرّب، ورغم ذلك فهي ضرورة في المجتمع السوري بعد مرحلة عصيبة من الصراع إذ يمكن لتلك المنظمات أن تمهّد الطريق إلى انتقالٍ سَلِس للسلطة عبر توفير الهياكل الإدارية المحلية البديلة وتقديم الخدمات المُلِحّة في المجتمع كذلك في فتح باب الحوار وندوات المصالحة الوطنية. فقد تكون تلك المنظمات البديل الوحيد للسلطة في الفترة الانتقالية فيما بعد الحرب.

كيفية بناء شبكة قوية ومتكاملة من منظمات المجتمع المدني داخل سوريا

يتطلب إنشاء منظمات المجتمع المدني في الداخل استراتيجية وخطط قوية ومتكاملة نتيجة عقود الاستبداد والديكتاتورية التي حكمت سورية منذ العام ١٩٥٨ الأمر الذي أدى إلى تغييب «المجتمع المدني» ونبضه، فعلى الرغم من تسجيل عدد كبير من محاولات البناء لكنها في الاجمال تفتقر إلى الخبرة الإدارية والتنظيمية وغياب مشاريع وأفق العمل مع التركيز على الكم دون النوع، إضافةً إلى البعد عن العمل المؤسساتي، فتقع تلك المنظمات في الغالب في شرك أخطاء تنظيمية وأخطاء في تأدية العمل وغياب الفئة المستهدفة.

شروط عمل المنظمات غير الحكومية

يقول عمر شيخموس/ الناشط في مجال بناء المؤسسات المدنية أنه حتى تكتسب أية منظمة صفة «مجتمع مدني» يجب أن تخضع لعدة أسس وقواعد عمل متفق عليها بشكل وهي:

١- أن تكون مستقلة، غير حكومية، غير تجارية أو هادفة للربح.

٢- أن تتبنى القيم والمبادئ الإنسانية العالمية المشتركة.

٣- أن تكون مسجلة رسمياً، وأن تمتلك خطة عمل واضحة وأن يكون لديها الموارد المطلوبة لتنفيذ تلك الخطة، كذلك تمتلك جاهزية الرد في حال

متطوعي مؤسسة دم في يوم عمل تطوعي لتنظيف المدينة حزيران

المسائلة، إضافة إلى قواعد هيكلية وتنظيمية /وجود مقر دائم، نظام داخلي.

واقع مؤسسات المجتمع المدني في سوريا

للجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني في سوريا تاريخ طويل، فأول جمعية تأسست في دمشق تعود إلى عام ١٨٨٠، وهي جمعية ميتم قريش الخيرية، حيث بدأت الجمعيات على شكل نشاطات أهلية يقوم بها الناس بدافع ذاتي وعلى أساس الشعور بالواجب وعمل الخير. ثم تطور عملها تبعاً للتغيرات السياسية والاقتصادية، وخاصة بعد الاستقلال من الاستعمار الفرنسي. وبعد أن وُضعت دراسات عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في سوريا سنة ١٩٥٧ بمساعدة فنية من مكتب العمل الدولي، صدر قانون التأمينات الاجتماعية رقم ٢٩ لعام ١٩٥٩. ثم تتالت القرارات والمراسيم حتى تم تأسيس العديد من الجمعيات والمؤسسات الخيرية التي قام بها الأهالي، حتى انتكس عمل الجمعيات الأهلية في مرحلة ما يمكن تسميته بمرحلة «الإشراف والمراقبة»، حيث كُلّفت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل بالإشراف على مختلف نشاطات وأعمال الجمعيات والمؤسسات الخيرية والتوجيه لها، وفي حكم البعث عام ١٩٧٤ تم التضييق أكثر على عمل الجمعيات من خلال إصدار أنظمة تشمل ثلاثة عشر بنداً يتوجب على الجمعيات الأهلية العمل بموجبه. ومع اندلاع الثورة السورية ٢٠١١ كانت مشاركة منظمات المجتمع المدني بسيطة لا تتعدى مرحلة التنظيم. ولكن مع طول أمد الثورة وقيام النظام باستخدام كافة الوسائل المنافية للأخلاق ولمبدأ الإنسانية بدأت هذه المنظمات في الظهور لسد الفراغ الذي حدث في ظل غياب الدولة في معظم مناطق سوريا ولتأدية دور مهم في مساعدة الناس أو ظهرت كرد فعل على الكبت الثقافي الطويل الذي مارسه النظام. وبرزت الحاجة إلى نشاط هذه المنظمات باعتباره جناحاً آخراً للثورة غير الجناح العسكري، يختلف عنه بأسلوبه ويتفق معه بالهدف. فمن المفترض أن تُشكّل منظمات المجتمع المدني شبكات حاملة للمجتمع في المرحلة الراهنة وفي المرحلة الانتقالية القادمة، هذه الشبكات التي تحمي الوطن والمواطن من الضياع والسقوط في الفوضى.

عوائق العمل المدني في سوريا

شهد نطاق المجتمع المدني وحجمه وقدرته توسعاً مهما في جميع أنحاء العالم في السنوات العشر الأخيرة، مدعوماً بعملية العولمة واتساع نطاق نظم

الحكم الديمقراطية، والاتصالات السلكية واللاسلكية، والتكامل الاقتصادي. ويكتسب العمل الاجتماعي التطوعي أهميته ولاسيما مع زيادة تعقيدات الظروف الحياتية وزيادة احتياجات السكان إليه، الأمر الذي استوجب وجود جهة خارجية تساند هذه المنظمات وتكمل دورها لتلبية هذه الاحتياجات ولكن دور هذه المؤسسات في أحيان كثيرة يعد دورًا سباقاً وليس تكميلياً في معالجة بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها لا سيما في ظل ثورات الربيع العربي وفي ظل غياب كلي أو جزئي للدولة. إذا فالحديث عن دور للمجتمع المدني حاضراً ومستقبلاً يتطلب نظرة ثنائية الاتجاه أحدها يتجه نحو دور هذه المنظمات في صنع السياسات والأخرى نحو تنفيذها لترتبط كلا النظرتان الأولى والثانية شرطياً وذهنياً بأهمية الشريك الأساسي في عملية صنع هذه السياسات أو تنفيذها وهو الدولة. ومن خلال متابعة عدد من الأبحاث والمقالات التقويمية المنشورة عن واع عمل وأداء العمل المدني في سوريا يمكننا الاستخلاص إلى أن عدم وضوح آلية عمل المنظمات وتداخل في الاختصاصات وعدم وجود أدوار جديدة محددة يشكل عائقاً أمام العمل إضافة إلى أن عدم وضوح العلاقة بينهم وبين المنظمات السياسية الأمر الذي قد يؤدي إلى خلخلة في الأداء. كما وأن التركيز الحصري للمنظمات على تقديم الخدمات بما ينطوي على هذا من أخطار تتهدد المجتمع المدني بتغييب دوره عن مجالات صنع السياسات العامة، مع غياب التنسيق بينها وبين المنظمات والسلطات السياسية (الحكومة المؤقتة)، إضافة إلى قلة الوعي والخبرة السياسية والتنظيمية للقائمين على عمل هذه المنظمات، وارتباط معظمها بالخارج وهذا يؤثر مستقبلا في سير عملها. ويلاحظ عدم وضوح العلاقة بين السياسة ومنظمات المجتمع المدني، وأن هناك حاجة ماسة وضرورية إلى إيجاد أدوار جديدة ومحددة لمنظمات المجتمع المدني للقيام بها فيما يخص السياسة الوطنية للسكان. وإن التركيز الحصري للمنظمات على تقديم الخدمات بما ينطوي على هذا من أخطار تتهدد المجتمع المدني بتغييب دوره عن مجالات صنع السياسات العامة. لقد أصبح واضحا اليوم لجميع المهتمين بالقطاع الأهلي في سوريا أن الإبقاء على الدور الخيري القديم للجمعيات واعتبارها مجرد وسيط بين المانح والممنوح، عبر تنظيمهما لأدوار العمل الخيري والاكتفاء بتقديم المساعدات إلى المحتاجين، لم يعد يلبّي الحاجات الاجتماعية المتجددة. ومع الاحترام للجهد الذي بذلته هذه الجمعيات تاريخياً في تقديم الخدمات الصحية والمعونات المالية للأسر الفقيرة، إلا أن الدور المطلوب منها اليوم يتجاوز توزيع المساعدات وأموال الزكاة والتبرعات على المحتاجين والفقراء. فالإسهام في معالجة مشكلة الفقر أو البطالة أو الأمية مثلاً يتطلب اليوم الارتقاء بعمل الجمعيات لتصبح قادرة على المساهمة الفعالة في عملية التنمية وتشارك في معالجة مشكلات البطالة أو الفقر عبر توفير فرص عمل جديدة مثلاً، أو إتاحة الفرصة لذوي الدخل المحدود لزيادة إنتاجيتهم. وإن الأهم باختصار هو الانتقال من الأدوار العلاجية للنتائج السلبية الناجمة عن سوء توزيع الدخل، إلى المساهمة في رسم وتنفيذ سياسات وقائية تعيد النظر في آليات وأساليب توزيع الدخل ضمن المجتمع. وكي تتمكن الجمعيات والمنظمات المدنية المختلفة من تأدية دورها التنموي، سواء كان اقتصادياً أو اجتماعياً أو تثقيفياً، فإنها تحتاج إلى تحديث القوانين الناظمة لعملها، سواء لجهة علاقتها بالدولة أو لجهة علاقتها بالفئات المستفيدة. وهو ما يتطلب أنظمة وقوانين جديدة تتصل بتنظيم مجالس إدارتها وتحديد الجهات المشرفة على عملها ومصادر تمويلها بما يتناسب مع مهامها الجديدة.

كسر جليد عمل منظمات الداخل

حين التوجه إلى الداخل ومتابعة نشاط غالبية المنظمات نجدها تفتقر إلى آليات المعرفة والتنظيم، نتيجة غياب إحصائيات عن عددها ودورها ومدى حاجة الفرد والمجتمع لوجودها، ومن هنا كان من المهم أن يتم العمل على بناءقاعدة بيانات شاملة لمنظمات المجتمع المدني والعمل الأمر الذي يسهل وضع آلية واضحة المعالم لشراكة حقيقية مع منظمات المجتمع المدني. كما أنه من المهم في العمل إعادة النظر في استهداف السياسة الوطنية للسكان وبرنامج العمل السكاني الحالي بمشاركة فاعلة من قبل منظمات المجتمع المدني ذات الصلة بالعمل السكاني لتقييم الوضع السكاني والتحديات المستقبلية على مستوى القطاعات كالتعليم والصحة والبطالة والمياه . ويلعب انخراط هذه المنظمات في عملية وضع السياسات العامة، والرقابة على تنفيذ السياسات وإدارة الخدمات العامة، ودعم المشاركة المجتمعية العامة في عملية صنع القرار دوراً جوهرياً في تفوق أداء المعارضة بهدف التوصل إلى وضع رؤية مشتركة حول السياسة الوطنية للسكان، وتعزيز علاقات التعاون بين منظمات المجتمع المدني المختلفة، والاعتراف بدورها بوصفها قطاعاً فاعلاً ومستقلاً لا بصفتها «الجهات المستفيدة» من التمويل. ومن هنا فإن عقد مؤتمر وطني تشارك به كل الأطراف من أجل وضع خطة عمل تحدد دور كل الأطراف المعنية بالقضية بهدف الالتقاء حول رؤية وأهداف مشتركة لمختلف القضايا مع كل الأطراف ويسهل وضع آليات محددة وفقاً لاهتمامات كل منظمة ونطاق تدخلها الجغرافي، وتطوير آليات التشبيك مع المنظمات ذات الصلة على المستويَيْن المحلي والإقليمي. كما وأنه من المهم عقد ندوات وورش العمل دورية لمناقشة المعوقات والإخفاقات والنجاحات مع مختلف الجهات ذات العلاقة. إضافة إلى الاستفادة من قوة منظمات المجتمع المدني وعلاقاتها لترسيخ التقارير والخيارات الأساسية بشأن قضايا محددة مع ضمان المساءلة والشفافية ومكافحة الفساد وايجاد شراكات فاعلة مع القطاع الخاص تتجاوز المساهمات المالية للجهات المانحة. ويمكن تعزيز قدرة منظمات المجتمع المدني من خلال زيادة التمويل لمشاريع البنية التحتية والبرامج التنموية. وتنويع وتوسيع نطاق الدعم لمنظمات المجتمع المدني على المستوى المحلي في المناطق الحضرية والريفية. وتمكين منظمات المجتمع المدني من خلال بناء القدرات، والعمل مع القاعدة الشعبية، وبناء التحالفات، وكسب التأييد.

أهمية العمل المدني في المجتمعات المحلية السورية

أحمد عيساوي

حملة « المخيم بيتك فاجعله نظيفاً « . سوريا _ مخيم اليرموك

تنتشر في الأدبيات السياسية مقولة «لا ديمقراطية بدون مجتمع مدني»، والمجتمع المدني تعريفاً هو مجموعة المنظمات غير الحكومية التي تنشأ لتحقيق خدمات للمواطنين أو لممارسة أنشطة إنسانية متنوّعة، وتلتزم في وجودها ونشاطها بقيم ومعايير الإحترام والمشاركة والإدارة السلمية للتنوع والإختلاف.

في أغلب الدراسات ارتبط العمل المدني بمفهوم التنمية المحلية التي تحدث تغييراً ملحوظاً في البنى البشرية والمادية في قرية أو مدينة أو أي تجمع سكاني على بيئة جغرافية محددة. في الحالة السورية تبدو الحاجة إلى تطوير العمل المدني أكثر من ملحّة في ظل غياب الأطر الحزبية الفاعلة وفي ظل استمرار الوضع على ما هو عليه، يخاف قسم كبير من المراقبين من فراغ ستشهده المجتمعات المحلية في مرحلة ما بعد سقوط النظام في حالة مشابهة لما رأيناه في العراق بعد ٢٠٠٣. بعدما خنق نظام البعث لسنوات طويلة الحياة السياسة في البلاد وحصرها بحزب حاكم وبتفرعاته الشبابية وأضاف إليها إطارات شكلية لأحزاب شيوعية وقومية ملحقة بجبهة يشرف عليها البعث ويديرها كما يريد، تبلورت نشاطات المنتديات وظهرت حركية معينة للمنظمات المدنية في مطلع الألفية الجديدة، ترافق ذلك مع وصول بشار الأسد إلى سدة الرئاسة ووعوده بالتغيير والإصلاح والإنتقال الديمقراطي في بنى الحكم. ما لبث أن عاد الوضع إلى سابقه، فأقفلت المنديات وغابت النشاطات السياسية والندوات الحوارية واستقر الوضع على ما هو عليه في ظل حكم مطبق لأجهزة المخابرات إلى أن عاد العمل المدني ينشط شيئا فشيء مع تجذّر الحراك الشعبي في منتصف عام ٢٠١١. مع استمرار المظاهرات الشعبية وتعنت النظام في رفض مطالب المنتفضين ومقابلة كل تحرّك في الشارع بالرصاص ومع دخول الثورة طورها العسكري وتزايد الجرائم التي ترتكبها الآلة العسكرية للنظام خرج إلى العلن ما عرف ب «لجان التنسيق المحلية» وهي مظلة جامعة لشبكة شعبية عابرة للطوائف، وقد تم إنشاؤها في جميع أنحاء سوريا وذلك في سياق صعب وخطر. وقد حققت لجان التنسيق المحلية نجاحات كبيرة على عدد من المستويات فهي تنظم التظاهرات السلمية وتزود العالم الخارجي بمعلومات حول الجرائم المرتكبة من قبل النظام السوري وتوثق في الوقت ذاته انتهاكات حقوق الإنسان، كما أنها تلعب دوراً هاماً في تقديم الإغاثة والمساعدات الإنسانية.

وعلى المستوى السياسي فقد يُعد من أبهر نجاحات لجان التنسيق المحلية تمكّنها من إقناع المجموعات المسلحة تبني وثيقة تضمن سلوك وممارسة الثوار على الأرض بشكل يصون حقوق الإنسان، كما أنها أصدرت بيانات وورقة سياسية هي «رؤية لجان التنسيق المحلية لمُستقبل سوريا السياسي» تضمنت أيضاً رؤية لدولة سوريا المُستقبلية. ولا غرابة في أن لجان التنسيق كونها محرك أساسي للثورة تواجه تحديات كبيرة، ومن المتوقع أنها ستواجه هكذا تحديات أيضاً بعد سقوط النظام الحالي حيث سيكون من أهمها المحافظة على استقلالية لجان التنسيق المحلية وتطوير رؤية سياسية مفصلة وجدية، والمبادرة ببلورة خطاب سياسي جديد معني بالتوصل لحلول ليس فقط للمشاكل الآنية في سوريا كالجرائم المرتكبة من قبل النظام السوري، بل أيضاً في ما قد يواجه سوريا المستقبل من صعوبات كازدياد الطائفية والعسكرة وكيفية ضمان حقوق الأقليات الدينية والإثنية. ويندرج ضمن هذه التحديات أيضاً مواجهة القوى الإسلامية المتطرفة ولو أن هذه المواجهة مؤجلة إلى فترة ما بعد سقوط النظام على ما يبدو(أصبحت الحاجة إلى إسقاط هذه الحالات الشاذة بنفس مستوى الأهمية التي ولّاها السوريون لإسقاط الطغمة الحاكمة) . هذا التحدي الأخير، أي حيثية مواجهة هذه القوى الإسلامية، سيكون له طابعاً محدداً ليس لهوية لجان التنسيق فقط بل للجو السياسي العام ما بعد سقوط النظام.

لا يمكن الحديث عن مجتمع مدني قادر وفاعل دون العودة إلى دولة القانون ووجود المشاركة السياسة وبناء المواطنة وتحقيق الإنتماء الوطني لأن هناك علاقة عضوية ثابتة بين المشروع الديمقراطي والمجتمع المدني. في المجتمعات السورية يمكن الحديث عن دور عكسيّ للمنظمات واللجان والأفراد التي تبغي العمل الأهلي لأنّ الصيغة الفعلية للدولة غير موجودة والأداة الوظيفية للقانون مهمّشة في سلطة فاسدة تحكم لتسرق وتنهب وتمارس استبدادها. وعليه يبدو أنّ العمل الأهلي يأخذ دوره في الهدم والبناء في آن. تلك الوظيفة التسييرية للمعاش من أجل تحقيق

كل فرصة متاحة للتأسيس لمرحلة قادمة سيكون لتلك النشاطات اليد الطولى في رسم ملامح أي حراك سياسي أو اقتصادي أو ثقافي.

لا يمكن مقاربة إشكالية نجاح العمل المدني في المدن والقرى السورية دون العودة إلى النجاح الكبير الذي تحصده الجمعيات والمؤسسات التي تعمل في مجال الإغاثة والخدمات الطبية التي تسعى جاهدة لتحقيق التوازن في تلبية احتياجات اللاجئين إلى مناطق أكثر أمنا (جرمانا، السويداء، طرطوس..) بموازاة ذلك لا بدّ من العمل الجدي من قبل قوى الثورة والمعارضة المسلحة على تأمين المناطق المحررة عسكرياً لبسط سيطرتها وسلطتها فيها طبقاً للقواعد والمبادئ والبرامج المطروحة علناً على الملأ، أي إقامة وتفعيل إدارة مدنية تعنى بشؤون السكان في المناطق المحررة، وتلك المهمة لا تقلّ أهمية عن العمل العسكري لأنها تهدف إلى فتح مجال لتخليق الحياة العامة في إطار من القيم المشتركة لمجتمع محلي خارج من سطوة الجمود إلى دينامية العمل والتفاعل في صيغ مختلفة.

يواجه العمل المدني والمنظمات المخوّلة القيام بنشاطات أهلية معوقات عديدة خاصة أنّ البيئة السورية تشهد نزاعاً عسكرياً يمنع العنصر البشري من تأطير الخطوات التنفيذية لأي نشاط أو فكرة مطروحة على شكل برنامج عمل مرحليّ في الفترة الحالية. وتعاني تلك المنظمات من صعوبة تأهيل الأفراد وتأمين كادر حقيقي يمكّنها من تحقيق أهدافها بشكل يسمح لها بالإستمرارية والعمل نحو التطوير والتحديث في ممكنات البحث والعمل.

إنّ الخطوة الأولى التي يجب أن تنتهجها كل الأطر الساعية إلى ترسيخ فكرة العمل المدني في المجتمعات المحلية هي رفع الوعي عند المواطنين وتنبيههم إلى المخاطر التي تحول دون انتصار فكرة الحرية والكرامة التي خرجوا من أجلها وربطها بمفهوم الدولة القادرة على تطبيق القانون وأسس العدالة الإنتقالية خاصة عندما تكون الدولة غير موجودة وظيفياً إلا لغاية القتل والهدم واغتيال الوجود الاجتماعي للبشر.

مع تطوّر العمل المدني في سوريا سيكون هنالك فرصة أكبر لممارسة العمل الديمقراطي في الفترة التي ستلي سقوط النظام سواء داخل الأطر التي تشكّل هيئات العمل الأهلي أو من خلال الدعوة للمشاركة السياسية في الحياة العامة (انتخابات بلدية، رئاسية، ...) ومن خلال النشاطات التي ستكسب زخماً وتأييداً شعبياً من كل الفئات.

ختاماً، لا بد من توجيه التحية إلى أفراد لم ينتظروا أي إطار أو تنظيم مدني للمشاركة في تلبية احتياجات المواطنين من جرحى ومعوقين ونازحين، فكانوا حاضرين في كل الظروف القاسية في هيئات الدفاع المدني والهلال الأحمر ومؤسسات الإغاثة (الدولية وغيرها) والجمعيات التي تعنى في محو الأمية لاسيما في المناطق المحررة (ريف حلب وريف ادلب..) ومخيمات اللجوء في تركيا ولبنان والأردن.

المجتمع المدني والتنمية

شمسه شاهين

ارتبط نجاح منظمات المجتمع المدني في التأثير ايجابياً على عملية التنمية بطبيعة الإطار القانوني الذي تضعه الدولة لتنظيم وجود هذه المنظمات وفاعليتهاضمن إطار قانوني منظماً كان أم مقيداً، كما يرتبط الأمر نفسه بمدى استجابة الدولة بمؤسساتها المختلفة للمطالب التي يتقدم بها المجتمع، ومدى جديتها في التعامل معه، فإذا كانت ثمة إرادةٌ جادة للتعاطي معه إيجابياً حصل تغييرٌ كبير على مستوى التنمية المستدامة، بحكم أن المجتمع المدني أكثر قدرةً على الوصول إلى القاعدة الشعبية وملامسة هموم المجموعات المستهدفة، وقد شهدت العقود الأخيرة تزايداً فيالاهتمام بالتنمية والمجتمع المدني نتيجة انتشار النظم الديمقراطية، والعولمة، وانهيار الأنظمة السياسية الشمولية مع التحولات السياسية والاقتصادية التي تشهدها غالبية دول المنطقة.

استُخدم «مصطلح التنمية» بمعانٍ عدة تعكس في حقيقتها مراحل الفكر الاقتصادي ومرجعياته، وهنا نشير إلىأن الفكر التنموي مر بتحولاتٍ كبيرة طرحت مفاهيم عدة واستراتيجيات متباينة، وصولاً إلى(التنمية المستدامة)، والتي يمكن التعبير عنها «الاستفادة من الطاقات والقدرات بأفضل صورة ضمن بيئة غير مستنفذة، لمراعاة حق الأجيال القادمة فيها»، وفي عام ١٩٩٠ صدرت عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة أولى التقارير عن التنمية، مستدركةً بذلك الوجه الإنساني للتنمية.

تهدف عملية التنمية إلى تحسين نوعية الحياة في المجتمع مع تأكيد المساواة بين الجنسين في العائدات والحقوق والواجبات، وتوجّه اهتمامها نحو المجموعات التي تعاني من الفقر واللامساواة. أي أنها تحقيق قفزةً نوعيةً في كافة المجالات (الاقتصادية– الاجتماعية– الثقافية– السياسية) قياساً لمرحلةٍسابقة، بهدف بناء نظامٍ حضاري متطور قادر على تحقيق الرفاه العام، وذلك من خلال إتاحة الفرص لجميع فئات ومكونات الشعب كي يشاركوا في إحياء المجتمع، وهذه الفرص لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال منظمات المجتمع المدني المتخصصة، وإن تأكيد منظمات المجتمع المدني على حق الإنسان في التنمية، ومشاركتها في إدارة الموارد، يعني أنها تسهم في تكوين نظام للحكم العادل الديمقراطي، ذلك الحكم الذي يعزز ويديم ويصون رفاه الإنسان ويقوم على توسيع قدرات البشر وخياراتهم وفرصهم وحرياتهم، خاصة بالنسبة لأكثر الأفراد فقراً وتهميشاً.

ومن أهم ما طرحه تقرير التنمية البشرية الصادر عن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة لعام ١٩٩٩ هو السعي إلىأمم متحدة أوسع نطاقاً لإتاحة تمثيل المجتمع المدني فيها، وفي عام ٢٠٠٠ أكدت الأمم المتحدة على أن أي مجتمع

ملتزم بتحسين حياة أفراده يجب أن يكون ملتزماً أيضابضمان الحقوق الكاملة والمتساوية لجميعأفراده.

إن تحقيق هذه الأهداف لا يتم دون وجود مجتمع مدني فعال ومؤثر ومنظم، مما يوجب ضرورة تحقيق المشاركة الفعلية للمجتمع المدني في عملية التنمية، وأن على كل فردٍ الإيمان بأهمية توجيه عطائه إلى التنمية، وإتاحة الفرصة لمنظمات المجتمع المدني للعمل على كافة المستويات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، وأن تدخل كشريكٍ هام فعلاً في عمليات البناء، خصوصاً وان الإحصاءات توضح زيادة دور منظمات المجتمع المدني في مساندتها للتنمية على المستوى العالمي.

هنالك مجموعة من القضايا تشكل جوهر التنمية، مثل (تحسين نوعية الحياة، وإزالة عبء الفقر، والحفاظ على الموارد وحماية البيئة– تعميم ثقافة حقوق الإنسان، وإزالة كافة أشكال التمييز وتحسين إدارة الحكم والمجتمع) وكلها تستدعي مشاركة المجتمع المدني في هذه العملية.

كما أن هناك عدة عوامل للنهوض بالمجتمع المدني حتى يمكنه الاستمرار والمساهمة الفعالة في التنمية، من أهمها:

١-تعزيز الديمقراطية وتمتع المواطنين بكامل الحقوق والحريات دون تمييز، فقدرة المجتمع على العمل بفاعلية نحو التنمية تزداد مع ازدياد مساحة الديمقراطية.

٢-الإيمانبأن الشعب مصدر السلطات، متمثلاً بالمنظمات والمؤسسات والتجمعات، لغرض المساهمة في الرقابة على الدولة والمجتمع.

٣-توفير مستلزمات عمل المنظمات المدنية لتمارس دورها الفاعل في تشخيص الظواهر السلبية والعمل على تجاوزها.

٤-الاعتراف رسمياً بإشراك منظمات المجتمع المدني في لجان الاستشارة وصنع القرار لتحقيق الديمقراطية وتعزيزها.

٥-إسهام المجتمع المدني في التنمية من خلال المشاركة المباشرة وغير المباشرة في مفاصلها وبرامجها.

لا يمكن لشعبٍ مقيد ومحروم من أبسط حقوقهأن يسهم في عملية التنمية وبناء البلد، ولا يمكن أن تتحقق التنمية بدون حريةٍ حقيقية، فالحرية هي الوجه الآخر للتنمية، وليس هنالك حريةٌ حقيقية بدون حكم ديمقراطي، وليس هناك حكم ديمقراطي بدون مجتمع مدنيّ فعال، وبعبارةٍأدق فإن التنمية لن تتحقق في ظل حكمٍ مركزي شمولي، أو من خلال قطاعٍ عام موبوء بالفساد.

لا تنمية حقيقية إذا كانت ثمار التنمية تعطى،أو كانت توفر فرصاً لفئة دون غيرها من فئات الشعب. وحتى تكون الحرية وجهاً للتنمية فهذا يعني أنه يجب أن يكون لكل تكوينات المجتمع، دون تمييز، حقها البديهي في أن تكون طرفاً مشاركاً في عملية التنمية، وهذا يستدعي أن توجد تلك الجماعات تكوينات تنظم أنشطتها، وتوحد تصوراتها، وترسم لها سُبل حركتها باتجاه حقوقها وتحقق حريتها.

إن تطبيق التنمية في مجتمع عانى أبناؤه الكثير من الظلم والقمع في مراحل طويلة من تاريخه –كالشعب السوري-، يتطلب إطلاق المواهب، وتوفير جو منالديمقراطية يسهم في إنماء روح المثابرة والتسامح، فعمل المنظمات

إعادة إعمار ما دمره القصف - ريف إدلب

المدنية يشكل نواة العملية الديمقراطية داخل المجتمع، والمساهمة في تطوير الوعي بأهمية الديمقراطية وحقوق الإنسان والوعي البيئي في العديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والسعي لدى المجتمع والدولة لتثبيت هذه القيم.

نحن في سوريا الآن أمام ظاهرةٍ حضاريةٍ جديدة، هي بروز منظمات المجتمع المدني، فقد برزت هذه الظاهرة في مجتمعٍ لم يعرف من قبل أية ثقافةٍ للمجتمع المدني، وأي نوع حقيقي لمنظمات غير حكومية، بسبب الاستبداد وثقافة الرأي الواحد والحزب الواحد، وبعد ثورة آذار ٢٠١١ وتطورها من «سلمية، إلى» مسلحة، كانت هنالك بالمقابل ثورة مدنية ظلت ملتزمةً بنهجها، كما وظهرت العديد من المنظمات المدنية التي تحتاج إلى الكثير من التدريب والتمرين وتفاصيل الإدارة والقيادة والمؤسساتية، لتكون في الكل جزءاً موجها نحو تنمية المجتمع.

إن أغلب منظمات المجتمع المدني تعمل في المُدن وتفتقر القرية إليها، ومن أجل أن تعرف معنى استراتيجية الفقر وتنمية المرأة، لابد أن لا يرتكز عملها في المدن فقط، بل أن تعمل في المناطق الريفية أيضاً، وخاصةً في المناطق البعيدة والنائية. ومن المهم ان تتحول هذه المنظمات إلى شبكات وصمامات أمان تحد من الآثار السلبية للتحول نحو اقتصاد السوق لكي لا تكون تلك الآثار بمثابة معوقات للتنمية.

وبالنتيجة فإن منظمات المجتمع المدني تستطيع أن تسهم في التنمية إسهاماً حقيقياً إذا نجحت في بناء الوعي التنموي واستقراره وتوظيفه من خلال مشاركة حقيقية وفاعلة في العملية التنموية، وإذا نجحت في تكريس العمل الجماعي، والابتعاد عن الأنانية الفردية.

•المصادر:

١- اليونيفم – مسرد مفاهيم ومصطلحات النوع الاجتماعي – صندوق الامم المتحدة الانمائي للمرأة – مكتب غرب آسيا – ٢٠٠٠ .

٢- تقارير التنمية البشرية الصادرة عن البرنامج الانمائي للأمم المتحدة للأعوام (١٩٩٣ و١٩٩٩ و ٢٠٠٠).

٣- د. آمال شلاش – احتياجات مؤسسات المدني في العراق – مجلة دراسات اجتماعية – العدد ٣٦ – ٢٠٠٤ .

٤- د. آمال شلاش – التنمية البشرية المستدامة – دراسات في التنمية البشرية المستدامة – بغداد – ٢٠٠٠ .

٥- ديندار شيخاني، منظمات المجتمع المدني والتنمية.

التنسيقيات، مشـــــروع دولة يحتضر

وائل زكي زيدان

كان ظهور ما يُسمّى بالتنسيقيّات الذي ترافق نشوؤها مع تصاعد حركات الاحتجاج في سورية أمراً جديداً وطارئاً، استدْعَتهُ وساهمتْ بتشكيلهِ الظروف والوقائع الميدانية على الأرض، وبدأت تلوحُ، بالنسبة لي على الأقل،بوادر ثورةٍ جديدة في عالم النُظُم والإدارة، كان من شأنها أن تكون هي البديل، لا عن الدولة المدنية الغائبة فحسب، وإنما عن الأسلوب الكولنيالي الذي يُدار به البلد منذ عقود. والذي يضفي أهميةً بالغة على هذه التجربة السورية الخالصة والسمّاة(تنسيقيّة)، ليس لطابعها الأهلي والشبابي فقط، وإنما قُدرتها على التكوّن في الأحياء والقرى النائية،وعدم الاكتفاء بتنسيقيّة المحافظة، لدرجة أننا كسوريين صِرنا نسمع بأحياء وقرى لم نكن نعلم بوجودها في الأصل، الأمر الذي أفضى إلى حالةٍ من الربط والالتفاف الشعبي نقيضةًتماماً لحالة تقطيع الأوصال التي كان ينتهجها النظام الديكتاتوري ضد المجتمع السوري قبل الثورة.

كنّا أمام تجربةٍ ذات طابع مدني فريد، راحت تنضج وتتبلور على مهلٍ في ظروفٍ مستحيلة من قصف عشوائي وغيره، وكانت الفرصة سانحةً لهذه التجربة لكي تستفيد من العقبات والأخطاء بتطوير وترميم نفسها بنفسها،ولتسفر في النهاية عن شكل جديد ومُبتَكَر في نظام الحكم هوأعمّ وأشمل من أسلوب النقابات. شكل لم يخطر حتّى على بال أنطونيو غرامشي. إن كلِمَتَي تنسيق وتنسيقيّة تَستبعدان في معانيهما ومدلولاتهما أيّة إشارة لنظامٍ هَرَمي مُحتَمَل، بل على العكس من ذلك، إنها كلمات تسطَع بثقافة العمل الجماعي وقيم التعاون، ويدخل في صميم تكوينها العمل الطوعي والمبادرة الشخصية التي تتصف بها كل الجمعيات المدنية في العالم. بينما النقابة عملياً /Syndicata/ تعني الرئاسة، ومنها نقيب الأطباء ونقيب المعلمين، ويقال لكبير القوم نقيباً أو رئيساً أو عقيداً. إضافةً لذلك فإن النقابات تقتصر على مطالب اقتصادية وإصلاحية وتضع شرائح المجتمع الأخرى خارج نطاق عملها.

بدأت التنسيقيّات كحالةٍ إعلامية وتنظيميّة للمظاهرات، ثم توسّع دورها لتأخذ على عاتقها الجانب الإغاثي،بل وقامت منذ بواكيرها بمدّ اليد للناس الموجودين على الطرف الآخر، أي المُنضوين تحت هيمنة النظام بهدف تحقيق الاندماج الاجتماعي بين أطياف الشعب السوري ومختلف شرائحه، فما الذي حدث؟.

انتقال الثورة في سورية إلى العمل المسلح غير المؤسساتي،كان من أهم العوامل التي أضعفت التنسيقيّات وحدّدت آفاقها الإدارية المُحتملة، ورويداً رويداً أوقفت تنامي طابعها المَدَني لتقتصر في النهاية على لعب دور الإعلام الحربي لصالح هذا الفصيل المقاتل أو ذاك.

ولا يغيب عن الذهن حرص النظام على اصطياد نُشطاء التنسيقيّات بالذات وتصفيتهم، ثم سيشاركهُ في هذا فيما بعد- فصائل

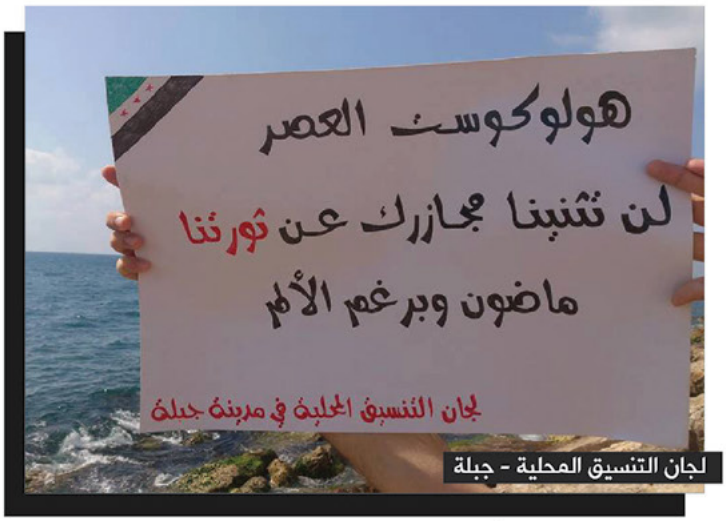

لجان التنسيق المحلية - جبلة

إسلامية راديكالية الاتّجاه والمضمون. وعلى خلفية هذا الانكشاف، ستغادر معظم الطاقات المدنية العاملة في التنسيقيّات إلى دول الجوار لتخسر الثورة ما يمكن تسميتهُ بتجمّعاتٍ أهلية ومدنية ناشئة.

العامل الثاني الذي أدّى إلى إضعاف التنسيّقيات هو تجاهل المجلس الوطني ومن بعدهِ الائتلاف لأهميتها، وانتهاج سياسة عدم الاكتراث بالقوى الناظمة للداخل، فراح يتعاطى مع الوضع ككل على أنه آنيّ، لذلك رأيناه يدعم حالةً أخرى باهتة ومؤقتة كوصفة /المجالس المحلية/، وهي مكاتب في المناطق المُحرّرة لكل مكتب مهمة خَدَميّة سرعان ما هيمنَتْ عليها القوى المسلّحة، ومازالت حتى اللحظة عاجزةً وتعاني من الانفراط السريع، وهي وإن نجحت في التراكب بمنطقةٍ ما ستجدها فاشلةً بإدارة أي شيء في تلك المنطقة، ناهيك عن تسييسها الذي وجّه لها الضربة القاضية، لأن أي تجمُّع مدني يَجري تسييسُهُ يفقد آلياً صفة العمل المدني المتعارف عليه.

والمُراقب لبداية تكوين التنسيقيّة وتكوين تلك المجالس سيلاحظ أن التنسيقيّة تستدعي وبمنتهى العفوية أي كفاءةٍ وخبرة إليها، بينما المكاتب تستبعد هؤلاء وتختزل المسألة كلها بصراع عدة أفراد على الزعامة، علامتهم الفارقة أنهم يَتْبَعون لفصيل مسلّح قوي بشكل أو بآخر. والتنسيقيّة هي نتيجة تظافر جهود الناس بعضهم مع بعض، واشتراكهم في توفير خدمات أساسية بينما المجالس ذات بنية هَرَميّة يعود فيها الناس إلى بيوتهم في انتظار فردٍ يترأس هذا المكتب أو ذاك ليوفّر لهم الخدمات!، أي أننا مرّةً أخرى سقطنا فيحفرة السيّد والعبد.

مع احتضار التنسيقيّات في الداخل، وُلِدَت عشرات المنظمات المدنيّة في الخارج، والتي أُتيح لكوادرها تدريبات ومراكز تأهيل على يد منظّماتٍ عالمية مرموقة، أي أنها فرصة أخرى قد لا تتكرر للشباب السوري كي يستفيد من أهم التجارب، وهي على ما هي عليه الآن من تشرذم وإرتباك، يمكن الاشتغال عليها والمراهنة كونها حصاننا الأخير، لكن طول الزمن جعل قوّة الناس في الداخل السوري تضمحلّ وتتحوّل بسبب التسييس والعَسكَرة إلى بيئةٍ لافظة لأية حالةٍ وافدة من الخارج، فالمسافات تتّسع وتتشكّل حالة من الاغتراب، وإن بقيت الأمور تسير بهذا الاتجاه فبرأيي أننا سنكون أمام مستقبلين بدل مستقبلٍ واحد، وهو أمرٌ لن يحدث لو عدنا

المجتمع المدني السوري: وائل سواح والمحاولات المستمرة للتأثير

عن موقع معهد السلام الأمريكي pisu
مقدمة وحوار: راشيل براندنبرغ
تاريخ: ٢٠١٤/٠٢/٢٧ م
ترجمة: غياث عبد العزيز

صورة المقال الأساسية

بعد ما يقرب من ثلاث سنوات من بداية الثورة السورية بشكلٍ سلمي، وبعد أن قتل أكثر من ١٤٠٠٠٠ شخص، تشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أنما يقرب من ٢,٥ مليون سوري فروا من منازلهم. وعلى الرغم من العنف، والافتقار إلى الموارد وانعدام الأمن، فإن المجتمع المدني السوري بقي مستمراً. وبتقديم الدعم من المنظمات داخل البلاد وخارجها من جهود المساعدات الإنسانية، وتبادل المعلومات والمهارات ذات الصلة، والاستعداد لبناء المؤسسات اللازمة لتنظيم المجتمعات المحلية حتى الآن، وبالتالي، للمساعدة في الحصول على دولة ما بعد الحرب مرة أخرى على قدميها. نجد السوريين يقاتلون اليوم للحصول على مقعد في طاولة مفاوضات جنيف. وتعد جمعية (the day after) واحدة من منظمات المجتمع المدني السوري، وقد انبثقت من مشروع معهد السلام الأمريكي للتخطيط للمرحلة الإنتقالية، ويرأسها اليوم مجلس إدارة يتألف من نشطاء في المعارضة السورية والمدير التنفيذي وائل السواح، وتعمل الجمعية لأجل دعم التحول الديمقراطي في سوريا، ويقع مكتبها الرئيسي في اسطنبول، ويقوم بالتنسيق مع النشطاء السوريين داخل وخارج البلاد. وقد تحدث مسؤول برنامج معهد السلام الأمريكي راشيل براندنبرغ مع السواح لمناقشة عمل (the day after) على نطاق موسع، ودور المجتمع المدني السوري في ظل الصراع الدائر في سوريا.

١-بدت الثورة السورية مختلفة عندما بدأ مشروع الجمعية في كانون الثاني/يناير ٢٠١٢، عن وقت الانتهاء منه بعد ستة أشهر. كيف تكيفت (the day after) في رؤيتها لتتلائم مع الطبيعة الحالية للأزمة؟

نعم، لقد تغيرت طبيعة الثورة، فعندما بدأنا مشروعنا في يناير ٢٠١٢، لم يكن الوضع دامياً في سوريا كما هو عليه اليوم، كانت الثورة في أغلبها سلمية حيث كان الناس يخرجون للشوارع للإحتجاج على الممارسات القمعية للحكومة ضد الشعب السوري، والدعوة للحرية والعدالة والمساواة. الآن الشعب السوري يواجه عدوين، النظام من جهة والمتطرفين الإسلاميين من جهة أخرى. يمكننا رؤية ذلك في بعض المناطق مثل حلب وإدلب، حيث كان الناس يقاتلون ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفي الوقت نفسه يقاتلون النظام الذي يرميهم بالبراميل المتفجرة يومياً. تعمل جمعيتنا على تطوير رؤيتها في السياق الحالي، مع الاحتفاظ والحفاظ على مبادئها الأساسية لسيادة القانون والعدالة الانتقالية، وإصلاح النظام الإنتخابي، والإصلاح الدستوري، وإصلاح قطاعي الأمن والإقتصاد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الجناة في هذا الصراع ليسوا من طرف واحد وسوف تستمر الجهود لتحقيق التحول الديمقراطي، رغم أن ذلك يصبح أكثر صعوبة وتعقيداً.

٢- ما هو انطباعك عن حالة المجتمع المدني السوري بشكل أوسع في هذه المرحلة، وبالنظر إلى السياق الذي وصفته للتو؟

غالبية منظمات المجتمع المدني في سوريا تدعو للانتباه على التغييرات التي ذكرتها للتو. هناك بعض منظمات المجتمع المدني ذات الخلفيات السياسية وتتبع أجندات سياسية معينة، لكن تلك المنظمات ليست الأغلبية، أغلبية المنظمات تتعامل مع الوضع بشكل محايد إلى حد ما، وبدرجة من المهنية في محاولة لتجنب التقيد بأي توجه سياسي. وتلك محاولة للدفاع عن استقلال المنظمات ورؤيتها المستقلة.

٣-هل تظن أن لذلك علاقة بعدم معرفة ما ستؤول إليه الأمور؟

لقد اكتسبت تلك المنظمات الخبرة والمعرفة الكافيتين طوال السنوات الثلاث الماضية، وعايشوا تجارب الآخرين، وقاموا بتدريبهم والتقوا بأشخاص من مناطق مختلفة في العالم، كل ذلك ساعد على الإصرار على العمل المستقل بعيداً عن أي أجندات مرتبطة بأحد.

٤-ما الدور الذي لعبه المجتمع المدني في عملية جنيف؟

حاولت منظمات المجتمع المدني أن تلعب دوراً أكبر مما سُمح لها في عملية جنيف. أرسلنا العديد من الرسائل عن طريق الاجتماعات ووسائل الإعلام من أجل وجود دور للمجتمع المدني في عملية جنيف لكنها لم تتلق أي رد إيجابي. فلا النظام يرغب بوجودنا ولا المعارضة ولا حتى الأمريكان أو الروس. منذ البداية أراد الطرفان فقط الجلوس على طاولة جنيف والتحدث كل مع الآخر. لذلك اقترحنا أن نشارك كمستشارين أو كمراقبين إذا لزم الأمر. كان لنا عدة لقاءات مع مبعوث الأمم المتحدة بشأن سوريا السيد الأخضر الإبراهيمي ومستشاريه وقد شجعنا على القيام بدور أكبر كمجتمع مدني، لكن منذ البداية كان لدينا شعور بأنهم لا يريدون لنا القيام بدور كافٍ في عملية جنيف. أعتقد أن ذلك خطأ. فقد تكون الأطراف المتقاتلة قادرة على التوصل لإتفاق سلام، لكنهم لا يستطيعون ضمان استمرارية ذلك الإتفاق، المجتمع المدني هو الضامن لدوام أي إتفاق. لقد استجاب المجتمع المدني لاحتياجات

السوريين ورفع مستوى الوعي حول الوضع في سوريا منذ بداية الثورة. كما قام المجتمع المدني بلعب دور هام في وسائل الإعلام، ونقل للعالم ما يجري في سوريا، التقط صوراً ونشرها للعالم بأسره، ساعد اللاجئين والنازحين، دافع عن حقوق الإنسان، وثّق الإنتهاكات ضد حقوق الإنسان والجرائم ضد الإنسانية، كل ذلك بينما كان النظام يقتل الناس والمعارضة تتمسك بمواقفها السياسية. لذلك، ومن أجل الحفاظ على أي إتفاق ناتج عن جنيف يحتاج العالم إلى مشاركة المجتمع المدني.

٥-ما الذي تقوم به مجموعات العمل المدني لإيصال صوتها والتعبير عن مواقفها؟

لدي علم بعدة اجتماعات عُقدت مع مساعدي الأخضر الإبراهيمي في جنيف قبل الاجتماعات، بما في ذلك اجتماعَيْن قبل بضعة أيام. وفي اسطنبول، حضرت اجتماعاً قبل شهر من المحادثات مع وكالة الأمم المتحدة وأعلنّا بشكل واضح أن المجتمع المدني يريد لعب دور في محادثات جنيف ولو بصفة مراقب. من الضروري تواجدنا هناك ولعب دور (الضمير) للطرفين، وتذكيرهم بأنهم يتحدثون عن حياة ناس ومجتمع بأسره. وقد رحب منظمو الاجتماعات بهذه التصريحات، ووعدوا بأن هذا الأمر سوف يتم. ولكن لم يتم تطبيق ذلك. الأسبوع الماضي، قامت (the day after) بعقد مؤتمر ضم المنظمات التي تعمل لأجل العدالة الانتقالية، ولأول مرة –حسب علمي- شارك الإئتلاف الوطني السوري في الإجتماع. وكان المثال الاول الذي جلس معنا وناقشنا بجدية حول كيفية التعاون بين المجتمع المدني والمعارضة.

٦-هل هناك أمور تفتقدها منظمات المجتمع المدني، أم أنه يمكن للمجتمع الدولي أن يقدم ما يساهم في تحسين الصورة؟

التحدي الأكبر لدى منظمات المجتمع المدني هو عدم وجود التنسيق فيما بينها. فكل مجموعة تقوم بعمل كبير بالنسبة للموارد والقدرات التي بين أيديهم. لكن لو وضعت جهود منظمتين أو ثلاث منظمات معاً فلن يكون في ذلك زيادة قدرات فقط، بل مضاعفة لها. تخيل لو استطعنا إنشاء قناة للتنسيق بين مجموعات العمل داخل سوريا وفي تركيا ولبنان. لذلك فإن أفضل مساعدة يمكن أن تُقدم للمجتمع المدني في سوريا هي دعم الجهود التي تحاول تنسيق المجتمع المدني في تحالفات مجمعة أكبر. النوع الثاني من المساعدة هو مساعدة المجتمع المدني لضمان موقع له في المستقبل لدى الشعب السوري، وذلك يتضمن بطبيعة الحال وجود موقف في عملية جنيف وفي أية مفاوضات في المستقبل بشأن سوريا. المفاوضات ليست فقط عن الحكومة بل هي عن الأمة السورية بأكملها، ونحن نطالب أن يكون للمجتمع المدني دور أكبر في ذلك.

٧-حتى مع المفاوضات الحالية، يرى محللون أن الحرب يمكن أن تستمر لعشر سنوات أخرى. ماهي رؤيتك للصراع في سوريا واحتمال نهايته؟

لا أحد يستطيع تحمل صراع مدته عشر سنوات. لا المنطقة ولا المجتمع الدولي، ولا الولايات المتحدة، ولا دول الخليج، ولا يمكن لإسرائيل أيضاً أن تتحمل كلفة هذا الصراع. لم أكن في جنيف، ولكن كنت أتابع عن كثب، وكان أصدقائي هناك، وبناء على ما سمعت فهناك اتفاق على أن كلفة المضي في هذا الأمر أكبر من أن يتحملها أي طرف

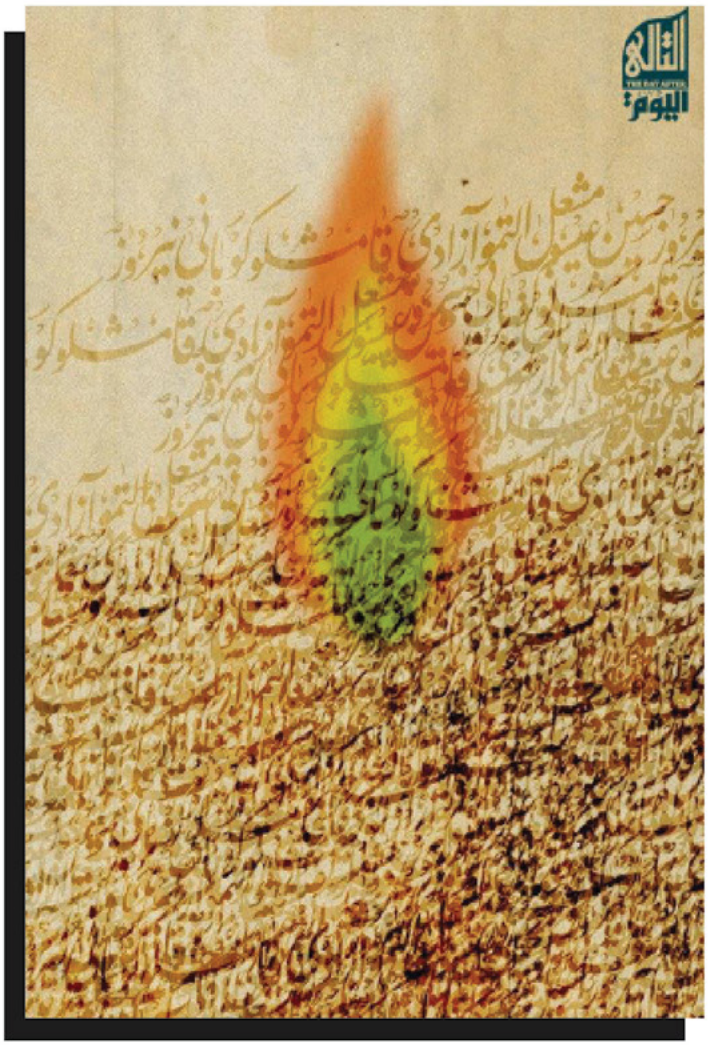

وسيكون هناك ضغط على الطرفين من أجل الوصول لحل وسطي.

٨-لقد قلت أنه سيكون على المجتمع المدني تنفيذ أي اتفاق يتوصل له الطرفان، كيف تتوقعون أن يكون المجتمع المدني قادراً على حشد الجهود لدعم الاتفاق إذا كان فعلاً هناك من يرغب بالوصول إليه؟

لا أتوقع أن يتم التوصل إلى قرار موحد في المدى القريب، ولكن بدلاً من ذلك، هناك قرارات تخلق تفاهمات أفضل في مناطق معينة. على سبيل المثال، هناك عمليات جارية بالفعل في بعض المناطق التي تضم عدداً من القرى السنية، لخلق فهم أفضل وتشجيع للسلم الأهلي بين السكان. في الحسكة مثلاً، هناك مجموعة تعمل لتشجيع التعايش بين الجماعات العرقية. في المنطقة الغربية من حمص، هناك مبادرة تضم العديد من القرى السنية والعلوية بهدف خلق فهم أفضل للتعايش بينها. تنجح مثل هذه المبادرات في بعض المناطق، لكنها تفشل في مناطق أخرى، في حلب مثلاً لم تنجح المبادرة. المشكلة التي تواجه المجتمع المدني في كثير من الحالات هي وجود السلاح بكثرة داخل سوريا. وعندما يملك أي شخص السلاح من الصعب أن يتخلى عنه ويعود للحياة المدنية العادية. إذا لم نجد حلاً لهذا الوضع -أي لجمع الأسلحة من الناس ودمج المقاتلين مجدداً في المجتمع- فسنجد أنفسنا أمام مأزق خطير.

٩-بالفصل بين الاحتياجات والشواغل التنظيمية للمجتمع المدني، ما هو برأيك الأمر الأكثر ضرورة وإلحاحاً بالنسبة للمدنيين السوريين في هذه المرحلة؟

البقاء على قيد الحياة، الغذاء، الأمن والعمل.

فقط في سوريا.. أسقف أرضية

محمد حاج قدور

فقط في سوريا تنبض قلوبٌ تحت الأرض، وهنا فقط تتساوى الأحلام بأعلى سقوفها مع سقوف القبور، هنيئاً لنا فنظام الأسد أمعن في تقديم الفريد والجديد.

هذا ليس إعلاناً ويشهد السوريون على ذلك.

«كما كل يوم تبدأ مجموعتي عملها في الساعة السابعة صباحاً، وربما في السادسة في حال كانت هنالك اشتباكات ومعارك قريبة من مدينتنا،يشتدُّ استنفارنا في الأوقات التي تكثر فيها المعارك، إذ عادةً مايقوم النظام بضرب المدن عوضاً عن قتال العسكريين في أرض المعركة،يقول حسام بدوي مدير دائرة الدفاع المدني في بنش، في معرض سرده لنا هذه الحادثة التي عاينها مع فريقه أثناء محاولتهم إنقاذ إحدى العائلات العالقة تحت الأنقاض.

«ماحدث في ذلك اليوم هو أننا فوجئنا بغارةٍ جويّة من الطيران الحربي على مدينتنا، حددنا موقع القصف، وقمنا بحمل عِدد الإنقاذ الخاصة بنا، وتوجهنا فوراً إلى مكان الدمار حيث الدخان والغبار المتصاعد والأسقف الهدمة، وأهل الحي مجتمعون يحاولون شدَّ امرأةٍ علقت إحدى رجليها تحت حافة سقفِ منزلها الذي تمدد على مستوى الأرض، وحالاً سارعنا إلى إبعاد الناس الذين كانوا يقومون بشد المرأة، الأمرالذي ربما يؤدي إلى بتر رجلها وقسم آخر منهم كان يحاول رفع السقف ولكن دون جدوى، حيث أن السقف يزن مالا يقل عن طونين من الإسمنت والحديد، ولا يمكن لكل أهل الحي أن يحركوا السقف، وعند وصولنا طلبت من أحد الشباب في المجموعة التي أقودها إبعاد الناس خوفاً من تهدم أجزاءٍ أخرى من المبنى المجاور، وفي محاولةٍللتخفيف من التجمّع، فلربما يقوم النظام بالقصف من جديد وعلى نفس الموقع. بدأ الشباب سريعاً بإخراج عدة الإنقاذ التي كنا بحاجةٍ لاستعمالها، حيث وفي مثل هذه لحالات نقوم باستعمال مقصٍ كهربائي مزود ببطارية، يمكن له أن يعمل لمدة ساعةٍ تقريباً، وقمنا بقص جزءٍ من السقف الاسمنتي المحيط بجسم المرأة العالقة وإخراجها دون أن يتسبب ذلك ببتر ساقها والحمد لله، ومن ثمَّ قمنا بعمل إسعاف أولي سريع لها وتم إرسالها إلى لمشفى، وأثناء ذلك، صرخت بأعلى صوتي:(هل يوجد أحدٌ تحت الأنقاض؟)، وبدأ فريقي بالبحث تحت الأنقاض والنداء وسؤال أهل الحي، حيث قال البعض بأنه لايوجد أحدٌ تحت الأنقاض، ولكن ماهي إلا لحظات حتى سمعت أحد شباب فريقي ينادي بأنه هنالك طفلان تحت السقف، وهما على قيد الحياة، الجدير بالذكر أن السطح الإسمنتي الممدد على الأرض في تلك اللحظة كان يقف فوقه معظم أهالي الحي وهم لايعلمون أن تحت أرجلهم هنالك أطفالٌأحياء، في هذه اللحظات وصلت إحدى الآليات الثقيلة الخاصة بالحفر والرفع أحضرها أحد شباب الحي وهو يظن أنه

فريق الدفاع المدني - بنش

سينقذ حياة من تبقى، ركضت بأقصى سرعةٍ باتجاه الرافعة وسألته ماذا سيفعل، فقال إنه سيغرس آلة الحفر في منتصف السطح، ليقوم بعد ذلك برفع السقف، طلبت منه أن لا يفعل هذا أانه سيقتل هذين الطفلين ولكن حميَّته وخوفه على الأطفال جعلاه يتردد، ويرد بأنه لابد من أن يفعل هذا لينقذهم، قلت له:(صديقي أنت ستتحمل مسؤولية موت هذين لطفلين لو فعلت هذا!)، وأشرت إلى مجموعة الدفاع المدني، وأخبرته أن هنالك طرقاً علميةً لإخراج هذين الطفلين، فغرسُ الآلة في منتصف السقف ربما يؤدي لانقسام السقف ودهس الطفلين بسبب وزنه ووزن الآلة،أو ربما ينجح برفع السقف، ولكن بكل تأكيد لن يستطيع تثبيت السقف في الأعلى ولن نتمكن في فترةٍ زمنيةٍ قصيرة من إخراج الطفلين، ناهيك عن المخاطرة التي ستقع على أيّ عنصرٍأو شابٍ سينزل لإخراج الأطفال.استجاب ذلك الشاب الطيب لكلامي، وعدت إلى مجموعتي التي كانت قد قصت الجزء المناسب لإخراج الأطفال، وبعد قص السقف قمنا برفع الكتلة الإسمنتية المقصوصة، وتمكنّا والحمد لله من إخراج الطفلين وهما على قيد الحياة، وسألناهما هل هناك أحد تحت الأنقاض، وسألناهما عن عدد أفراد عائلتهم، وقمنا بإرسالهما أيضاً إلى المشفى بعد أن تأكدنا أنه لا يوجد أحدٌ تحت الأنقاض، وفي نفس الوقت كان يتابع فريقي عمله في البحث والتأكد من وجود+خصٍ ما تحت الأنقاض وبالطرق العلمية التي تعلمناها.

من ثمّ قمنا بجولةٍ حول الموقع، وتأمين الجدران التي من المتوقع أن تسقط، وساعدنا الأهالي بإبعاد جزءٍ من الركام عن الطريق لكي لا يتسبب بحادثٍ مروري، وخاصةً في الليل، حيث لا يستطيع سائقو السيارات والدراجات النارية من تشغيل الإضاءة ليلاً بسبب الطيران الحربي. عدنا أدراجنا إلى مركز الدفاع المدني، وكنت وزملائي نتحدث عن ذلك المشهد حيث يقف الناس فوق الركام فوق ذلك السطح الإسمنتي الضخم وهم لايعلمون أن تحت أقدامهم أطفالاً مايزالون أحياء.»

شعور جميل واحساس رائع ان تنقذ أرواح الناس، فبالرغم من المأساة التي حدثت ولكني كنت وزملائي سعداء بما انجزنا ونجاحنا بانقاذ هذه الأرواح..

نحو تأصيل مفهوم التمدّن منظمات المجتمع المدني في الجزيرة السوريّة

عباس علي موسى

إنّ بقاءَ البعث ولمدة أربعين عاماً قائداً للدولة والمجتمع، أدى إلى تشوّه كل البُنى التنظيمية والمدنية والنقابات والأحزاب التي عاصرتها، أو حتى تلك التي صنعها البعث، كبديل عن تلك التي يمكن أن تولد في الخفاء أو حتى تلك التي كانت موجودة من قبل. بقيت سوريا طوال هذه المدة تجترّ كلّ شيء بنَفَسٍ واحدٍ، ولون واحد، فلا مجال للحصول على لونٍ آخر، ولا طريقة تفكير أخرى، بل إنّ البعث أخذ على عاتقه قيادة الدولة والمجتمع باللون الذي يراه، عبر ثقافته الشمولية المتماهية مع سلطة الدكتاتور. فمنظمات الطلائع والشبيبة واتحاد الطلبة والنقابات العمالية، باتت هي الأخرى الرديف المدني الزعوم من وجهة نظر الحزب، قائد الدولة والمجتمع، كما أنّه استطاع عبر هذه المنظمات تفريغَ الإنسان السوري من أيّة طاقة إيجابية، وقتلَ في الإنسان السوريّ ثقافة التطوع والمسامحة، لأنّه روّج لكلّ ثقافة عبر نظريته القومية الضيقة، مُباعداً بذلك بين المواطن ومفهوم الوطن كحاضنٍ وأم رؤوم. لقد عاش جيلٌ كامل على هذه الثقافة المشوّهة، وكل طريقة أخرى للتفكير خارج السرب وقعت رهن الاعتقال، فالمئات من المثقفين كانوا سجناء حتى عشية الثورة، وأُغلقت المنتديات وأغلقت الصحف والمجلات التي تعمل على هذه الثقافة، ولم يتم تقديم الرخص إلاّ إلى الجمعيات الخيرية المحضة، أو تلك التي تدور في فلكها. في ظروف كالتي تعيشها سوريا، وغياب التواجد الحكومي، وتقلقل الأوضاع، تكون البيئة المناسبة للعمل المدني، وتنشط منظمات المجتمع المدني، التي وجدت نفسها أمام فسحة صار باستطاعتها إزاءه القيام بعمل مدني بعيداً عن إيديولوجية البعث الواحدة الموحدة. وفي الوقت الذي تلحّ فيه الحاجة للنشاط المدني والمنظمات العاملة فيه، كذلك فإنّ العقبات التي تقف عائقاً أمام العمل بحريةتَكثُر، فظروف القصف وإعمال آلة القتل في بنية البلاد أدى إلى صعوبات وعوائق كثيرة أدت إلى قصور النشاط، وعدم وصوله إلى المستوى المطلوب.

منظمات المجتمع المدني في الجزيرة السورية

إنّ الجزيرة السورية هي من المناطق التي حظيت بهدوء نسبي، جعلتها بيئة مناسبة للعمل المدني، وكذلك أدى تنوّعها الديني والقومي حيث يعيش الكرد والعرب المسلمون والمسيحيون، وغيرهم في هذه الجغرافيا التي يشبهها البعض بسوريا مصغرة، أدى هذا التنوع إلى خلق بيئة للعمل في المجال المدني، فمنذ انطلاقة الثورة افتُتحت عشرات المراكز، تحملُ جميعها شعارات المجتمع المدني وتنادي بالعيش المشترك وزرع ثقافة التطوع، ومنظمات خاصة بدعم وتمكين المرأة، ومنظمات لدعم الأطفال، والشباب، ومنظمات حقوقية إلخ... وقد أقيمت الندوات والدورات التي تسعى إلى تأصيل الثقافة المدنية، وفي هذا الإطار يحدّثنا عاصم أمين عضو في مركز المجتمع المدني والديمقراطية : «إننا في المركز نعمل على عدة أهداف منها تطوير عمل المنظمات المدنية، وكذلك إقامة حلقات نقاش حول مفهوم العدالة الانتقالية، والعيش المشترك...» وحول التسامح بين مختلف أطياف الشعب السوري عموماً، وتأصيل مفهوم العيش المشترك كحقيقة يجب عدم الانجرار إلى نقيضها، كما يروّج لها النظام ويجرّ المجتمع إليه، وفي هذا الصدد يقول محمود عمر وهو محاضر ألقى محاضرات في منظمة «ماف» الحقوقية في ورشة العمل التي تقيمها المنظمة حول مفاهيم كالتعايش والسلم الأهلي، ومفاهيم المجتمع المدني: «إنّ مجتمعنا هو متسامح بطبعه، ولكي يعود إلى هذه الطبيعة علينا توعيته بهذه القيم، ليعود إلى طبيعته لا أن يخلقها من جديد».

حين تدخل السياسة على الخط

جلّ منظمات المجتمع المدني تُعرّف نفسها على أنها منظمات مدنية مستقلة، إلاّ أن الحقيقة هي أنّ بعضها من صناعة الأحزاب، بحيثُ تصبحُ عائقاً حقيقياً أمام عمل المنظمات التي صنعتها، فهي لا تستطيع العمل بشكل مستقل بأي حال، إضافة إلى طغيان الأيديولوجية على الشعارات المدنية، بطرق غير مباشرة، وعن هذا يقول عاصم أمين (مركز المجتمع المدني والديمقراطية):«بعض المنظمات التي هي صناعة الأحزاب، وتعمل لأجنداتها، فهي بالإضافة إلى كونها مقيّدة للعمل، فهي تتبعُ هرماً تنظيمياً كالذي للأحزاب، وتؤدي في الحالتين إلى حصول الانشقاقات بداخل تلك المنظمات، أو إلى تفككها، لأنها لم تبنى على أسس سليمة». إنّ عقلية الأحزاب السياسية تدفعها إلى محاولة التغلغل في المنظمات، لتكون عوناً لها في تأصيل سياستها، إلاّ أنّ تدخل السياسة لا يفلحُ في تأصيل مجتمع مدني بعيداً عن جو السياسة، إذ أنها أي السياسة، تكبحُ جماح العمل المدني وتؤطره وتحد من مرونته، عبر الإيديولوجية الحزبية.

الإعلام ورصد حركة منظمات المجتمع المدني

لقد لعب الإعلام دوراً مهماً في تسليط الضوء على عمل منظمات المجتمع المدني، ورصد فعالياتها وعرضها في الوسائل الإعلامية المختلفة، فمعَ وجود الأقنية الفضائية، والإذاعات، والصحف والمجلات، والمواقع الإخبارية على الشبكة، صار لكل نشاط أو فعالية فرصة للتعبير عن ذاتها سواء من ناحية الإعلان عنها أو عرض تقارير عنها، تُسهم بدورها في تفتيح العيون على عمل هذه المنظمات. ومن ناحية أخرى لعب الإعلام دور الرقيب في بعض الأحيان فمع وجود هذا الكم من الإعلام صارت المنظمات تلك تخشى من عمل الإعلام في رصد الأخطاء، كما ويقوم الإعلام بتقييم الواقع المدني عن طريق عرضه لعمل المنظمات المختلفة، ووضعها أمام أعين الناس ليقيموها هم أيضاً.

المجتمع المدني، هل تتحوّل إلى ثقافة؟

ثقافة التمدن والعمل الطوعي، وتفعيل منظمات ومؤسسات غير مرتبطة بالسياسة، هي حالة متقدّمة ومن شأنها خلق نوع من التوازن في بنية المجتمع التي أصابها خللٌ كبيرٌ جراءَ إعمال كل أنواع القتل والتنكيل والقمع طيلة عقودٍ أربع مضت، لكنّ إرادة الحياة، وميل الإنسان السوري إلى التوازن والعيش المشترك، قد تؤدي وإن على مدى بعيد إلى تبلور هذه الثقافة في وطنٍ جديد، تزدهر فيه هذه القيم وتتفعّل على الأرض.

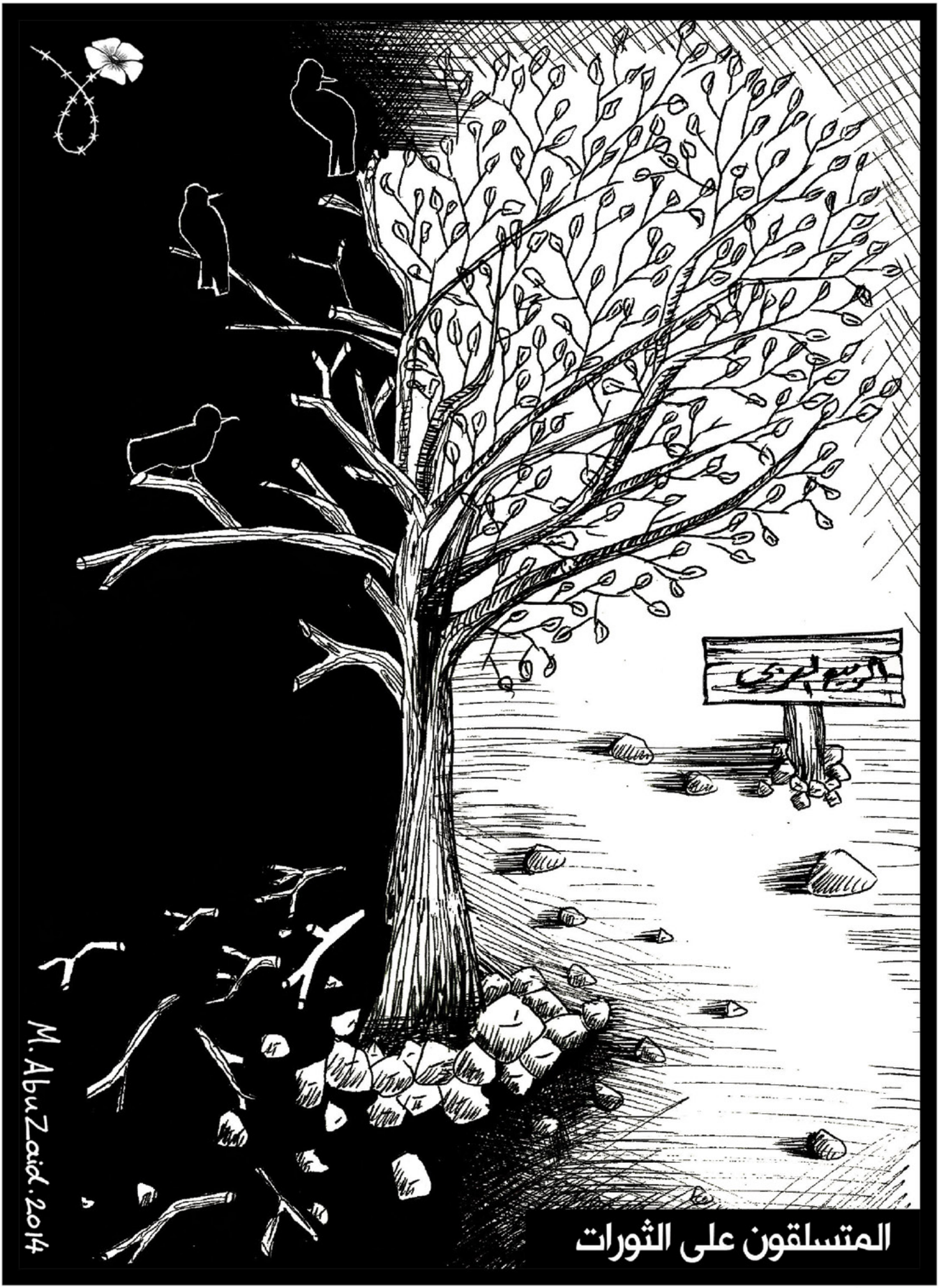
M. AbuZaid. 2014
المتسلقون على الثورات

المظلومون في زمن النظام وزمن الحكومة المؤقتة

لقاء خاص مع رئيس الاتحاد الثوري للعاملين الدكتور عمار الجدعان

مكتب إدلب - محمد جدعان

كيف تشكل الاتحاد ومتى؟

منذ أن تم فصلنا بشكل تعسفي وغير قانوني كما كل شيء في هذا البلد، اجتمعنا نحن الأصدقاء المقربين في البداية واتفقنا على تكوين هيكلية تضمنا. كان هذا الكلام في الشهر الثاني عام ٢٠١٣، ومن ثم تواصلنا مع بقية العاملين المفصولين هنا في جبل الزاوية، وبعد ذلك قررنا تشكيل الهيكل الذي يضمن حقوقنا، وأسميناه فيما بعد الاتحاد الثوري للعاملين، ووضعنا فيما بعد آلية لقبول الأعضاء الذين يرغبون بالانتساب للاتحاد، والذين تنطبق عليهم الشروط، وكانت الشروط كالتالي:

أن يكون قد تم فصل الموظف بعد انطلاق الثورة.

أن لا يكون قد اقترنت به شبهة فساد. وأن يقدم إثباتا بفصله أو صرفه أو انشقاقه.

وفي حال عدم توفر الوثيقة المطلوبة يطلب منه كتابة تعهد خطي يتحمل به مسؤولية روايته.

ما هي شروط الانتساب للاتحاد؟ وما هيكله التنظيمي والمكاتب المنطوية تحته؟

يضم الاتحاد غالبية العاملين المفصولين، والمنشقين المدنيين ومن في حكمهم، ومن جميع قطاعات الدولة. كما نوهت سابقا فكرة الاتحاد ولدت في جبل الزاوية، من قبلنا نحن العاملين المفصولين بعد أن تواصلنا مع باقي المناطق في محافظة إدلب، حيث افتتحنا مكتبا في جبل الزاوية ومقره بلدة كنصفرة، ثم افتتح مكتب في ريف معرة النعمان الغربي ومقره مدينة كفرنبل، ثم تشكل مكتب في ريف معرة النعمان الشرقي ومقره في جرجناز، ومكتب شمالَ مدينة إدلب ومقره في حربنوش.

ما هو سبب تأخير إعلان تشكيل الاتحاد حتى الآن، مع العلم أن العديد من العاملين تم فصلهم منذ فترة طويلة؟

صحيح أن الفكرة موجودة منذ زمن، لكننا، وبصراحة كنا نأمل سقوط النظام باكرا. لم نكن نتوقع بقاءه حتى الآن، لذلك ربما تأخرنا في الإعلان عن الاتحاد، على الرغم من أننا نظمنا عملنا من تاريخ فصلنا التعسفي تحت بند ما يسمى الإرهاب.

هل الاتحاد منضوٍ تحت مظلة الحكومة المؤقتة أو الائتلاف؟

حتى الآن لا. ولكننا جعلنا اتحادنا مؤسسة حكومية، ونحاول التواصل مع الحكومة والائتلاف للتعاون المشترك، ولكن إلى الآن لا جدوى، كون الائتلاف والحكومة منطويين على نفسهما في الخارج، ويتصرفون كأفراد وأمزجة وليس مؤسسات أو منظمات.

ما هي أهداف الاتحاد؟

مرحليا دعوة الحكومة المؤقتة والائتلاف للاعتراف بالاتحاد ممثلا للعاملين المفصولين في إدلب، واستراتيجيا المطالبة بتأمين كافة حقوق المفصولين، والضغط لاعتماد العاملين في هذا الاتحاد في شغل الوظائف والأعمال التي تنوي الحكومة القيام بها في الداخل كل بحسب اختصاصه.

ما مصير العاملين المنتظِمين تحت راية الاتحاد، وكم عدد المسجلين لديكم؟

مصيرهم هو بإذن الله العودة إلى عملهم في المستقبل القريب، فور سقوط النظام، أما الآن فنحن نعمل على التواصل مع الحكومة، ليكون العاملون الرافد الأساسي لها، حيث إننا نملك في الاتحاد جميع الخبرات من كافة الاختصاصات، ونعمل على تأمين رواتب إن استطعنا. إن دعمتنا الحكومة، وهذا الكلام برسم الإجابة من قبل المعنيين هناك. اعتبر هذا الكلام بمثابة تبليغ رسمي، ويبلغ عدد المسجلين حتى الآن ما يقارب ستمائة عضو.

هل اقتصر عمل الاتحاد على محافظة إدلب فقط؟

نعم. يقتصر عمل الاتحاد حاليا على محافظة إدلب. قمنا بفتح صفحة على موقع فيس بوك باسم الاتحاد الثوري للعاملين، وناشدنا جميع من في حكمنا في باقي المحافظات تشكيل اتحادات مماثلة، ومن ثم تشكيل اتحاد عام على مستوى الوطن.

كيف تنظرون إلى واقع الثورة الآن؟

ككل السوريين، ننظر بعين القلق والخوف الشديدين على مصير الثورة والبلد. حقيقة لم تبق جهة في العالم إلا وتدخلت في سوريا، وأصبح وطننا ساحة صراع دولية لتصفية حسابات إقليمية وعالمية، وللأسف أصبحنا نباع بسوق النخاسة السياسي العالمي.. المشتكى لله فقط..

سهير الأتاسي.. على بيدر حنطة

حوار ناجي الجرف

- طالبتُ المجتمع الدولي بدعم منظم مؤسساتي ليكون أساساً لتنظيم صفوف الجيش الحر.
- كان شعارنا الأساس في وحدة تنسيق الدعم هو رفض تسييس الإغاثة، ورفض مبدأ المحاصصات، الأمر الذي جعل من يستمدُّ شرعيَته من قوتِ الناس يعتبرنا وكأننا أعداءٌ له.
- تجربة منتدى الأتاسي كانت بوابة دخولي إلى النشاط العام، تعلمت منها صعوبة العمل مع المعارضة الكلاسيكية، وأن الشباب هم اساس التغيير.

١-ثلاثة أعوام من عمر الثورة السورية مضت، سهير الأتاسي كيف ترى الوضع السوري اليوم؟ النظام –المعارضة –المجتمع الدولي؟

دائماً ما يتم الخلط بين مفردة المعارضة والثورة، المعارضة ليست هي الثورة بالتأكيد، بل لقد عجزت المعارضة التقليدية عن القيام بثورة، وكانت تضع قمع النظام شماعةً لتبرير عجزها عن تغييره، فإذا كان المقصود بالمعارضة (المعارضة السياسية) فهي لم تكن على مستوى تضحيات الشعب السوري، ومازالت الأنانية هي العامل الأساس في تفرّقها وصراعاتها.

المجتمع الدولي ساهم بذلك، لأنه يريد الإبقاء على صيغة «لا غالب ولا مغلوب» بين السلطة والمعارضة، وحجب الدعم الحقيقي الفعلي (السياسي والإغاثي والعسكري) عن مؤسسات المعارضة التي لم ترقَ إلى مستوى المأسسة بسبب ضعف الإمكانات من جهة، واستمرار شغب العديد من الدول واعتمادها على قنواتها الفرعية من جهة أخرى.

المجتمع الدولي مازال يترك مفتاح الحل بيد روسيا، ومعظم أصدقاء سوريا لم يلتزموا بإمداد الشعب السوري بما يمكّنه من الدفاع عن حقه في الحرية والكرامة، بينما نجد حلفاء وأصدقاء نظام الأسد (تجار الحروب) يمدونه بكل مستلزمات آلة القتل والدمار، كما يعطّلون كل وأي قرارٍ يمكن أن يصدرَ عن مجلس الأمن (ولو على الصعيد الإنساني) لتخفيف المعاناة عن السوريين بفضل الفيتو المعطّل للقيام بواجبات عالم حرّ تحوّل إلى غابة!

أما النظام فأعتقد أنه بات هشاً مفككاً من الداخل، ولكنه محاطٌ بقضبانٍ حديدية، ما هي إلا إيران وروسيا وحزب الله، وهي من تقيه من الانهيار، وتجعله يبدو وكأنه بحالٍ أفضل مما هو عليه.

٢-المعارضة السورية، وأقصد هنا الائتلاف الوطني، لماذا لم تتمكن إلى اليوم من فرض نفسها كلاعبٍ أساسي في الوضع السوري، وإلى متى سوف تبقى هذه المعارضة رهينة خطابٍ بعيد عما يحدث على الأرض في سوريا؟

سيبقى الحال كذلك طالما بقيت الفجوة بين الائتلاف والأرض في سوريا. تلك الفجوة بدأت بانشغال المعارضة السياسية بإقناع المجتمع الدولي بضرورة دعم الثورة السورية، وانتصارها للخلاص من نظام إرهابي، والوصول إلى دولةٍ مدنية حرة، ولكنه دون أن يشعر أدار ظهره للداخل، وباتت لقاءات وزراء الخارجية لدول أصدقاء سوريا أهمّ من العمل والتواصل مع الجاليات السورية التي كان لها الفضل في دعم الثورة وإيصال صوتها للعالم الخارجي، وعندما ظهر المال السياسي في المشهد، خلطَ كل الأوراق، وبدأت الفرقة.

اليوم.. الحل الوحيد يكمن في أن تستعيد قوى الحراك الثوري السلمي الائتلافَ الوطني لأنه تأسس لأجلها، ونجح في أن يكون صدىً لصوتها دون أن ينجح في تمثيلها سياسياً بالشكل الذي تستحقه، لا

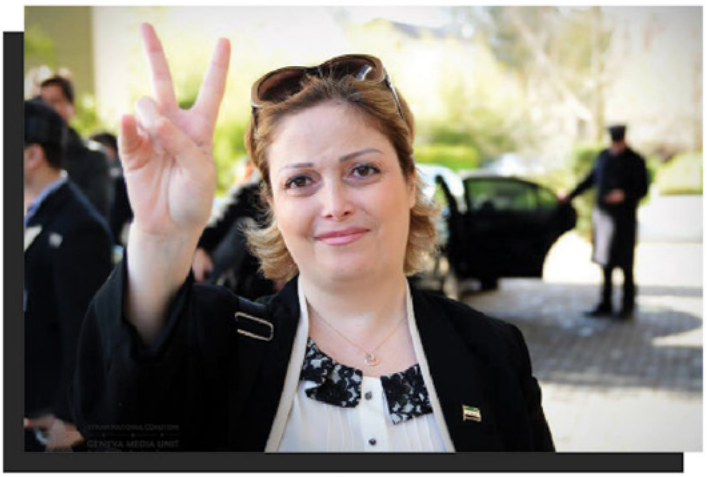

بد للائتلاف اليوم أن يعطي زمام الأمور والمبادرة للشباب، وأن نبقى نحن في الصفوف الخلفية، يستشيرونا متى يشعرون بالحاجة لذلك.

٣-في أكثر من حديث لك تكلمت عن تطور قوى الثورة السورية، من كنت تقصدين بقوى الثورة وما هو التطور الذي كنت تقصدينه؟

أقصد بها الحراك الشبابي السلمي الذي أشعل الثورة، وتمكّن من الحفاظ على استمراريتها، بالتأكيد اختلفت الأمور اليوم، ولكن روح الثورة مازالت باقيةً فينا، وبالإمكان استردادها عندما يستعيد هؤلاء الشباب الذين باتوا اليوم متناثرين في مختلف بقاع الدنيا، أو تحوّلوا إلى نشطاء إغاثيين وعاملين إنسانيين، وهو جهدٌ ليس بالقليل، قاموا به في المناطق المحررة والمحاصرة، وكذلك التي مازالت تحت سيطرة نظام الأسد، عندما يستعيدون زمام المبادرة وينظموا أنفسهم ويعلنوا فشل المعارضة الكلاسيكية بإدارة الثورة، ليضعوا بأنفسهم استراتيجيةً حقيقية، وخارطة طريق تعيد ترتيب الأوراق، وتعطي الأولوية للمصلحة الوطنية على حساب صراع المناصب والتجاذبات الإقليمية التي عطلت تحقيق أهداف الثورة وأطالت عمرها.

٤-الحكومة المؤقتة ما هو الهدف من تشكيلها، وكيف تتموضع ككتلةٍ سياسية تنفيذية إلى جانب الائتلاف الوطني، هل أنت متفائلةٌ بعملها؟

لا يمكن للحكومة المؤقتة أن تكون كتلةً سياسيةً بأية حالٍ من الأحوال، وإلا لكانت تتصارع اليوم وتتنافس مع بقية تكتّلات الائتلاف الوطني، بل هي الأداة التنفيذية للائتلاف، والتي من واجبها أن تضع الخطط الاستراتيجية لتخفيف المعاناة عن الشعب السوري، ولتنظيم صفوف الجيش الحر، ليتمكن من خوض حربٍ مزدوجةٍ في مواجهة إرهاب السلطة، وإرهاب أذرع للقاعدة باتت موجودةً في بعض أنحاء البلاد، بعد أن تفاقم عنف الأسد وطال عمر الثورة. كل ذلك للعمل على إسقاط النظام، والذي لا يكفي اليوم وحده من أجل بناء سوريا مدنية حرة ديمقراطية، ولكنه بالتأكيد خطوةٌ إلزامية للوصول إليها. لايوجد خيارٌ لتلك الحكومة إلا النجاح، لذلك أرى أنه يتوجب عليها الابتعاد تماماً ونهائياً عن مبدأ المحاصصة الذي بات ينخر في كل أجسام المعارضة السورية.

٥-أنتِ مع الحل السياسي أم العسكري في سوريا؟ ما هي رؤيتك للحلول؟

لا يمكن للحل أن يكون عسكرياً صرفاً، أو سياسياً صرفاً، لا بد من التناغم والتمازج بين الحلين، فتجربة المفاوضات في جنيف ٢ أثبتت للعالم أجمع أن نظام الأسد قد اختار الحسم العسكري، وعلى هذا الأساس فهو لن يأتِ إلى طاولة المفاوضات ليناقش مصيره وتأسيس هيئة حكم انتقالية كاملة الصلاحيات إلا حين يفقد أمله بالانتصار العسكري على الشعب السوري!، وبذلك نجد أنه لا بد من تغيير موازين القوى العسكرية على الأرض

لنصل إلى لحظة مفاوضاتٍ سياسية مثمرة، وليست مجرد إضاعةٍ للوقت.

٦-كنتِ من أول الأصوات المطالبة بتسليح الجيش الحر؟ على ماذا كنت تعتمدين في هذا الطلب؟ ألم تكن لديك تخوفاتٌ من أن تعم فوضى السلاح في سوريا؟

لقد كنت من أوائل مطالبي المجتمع الدولي بدعم الجيش الحر من أجل تجنب فوضى السلاح، فقد كانت ظاهرة الجيش الحر في بداياتها، وكانت عبارةً عن نتيجةٍ واقعية طبيعية لثورةٍ بقيت سلميةً شهوراً عديدة، قابلها نظام الأسد بالرصاص الحي، والقتل تحت التعذيب في المعتقلات، والمجازر في الأحياء الثائرة، وكان الدعم العشوائي عنوان تلك المرحلة، الأمر الذي تسبب بفوضى إغاثة، وبدايات ظاهرة شراء الولاءات، لذلك كان من المنطقي أن تكون تلك منهجية دعم السلاح أيضاً، وخوفاً من فوضى السلاح وعملياتٍ معقدة لشراء ولاءاتٍ لأطراف تتصارع على بلدٍ لم يتحرر بعد، طالبتُ المجتمع الدولي بدعم منظم مؤسساتي ليكون أساساً لتنظيم صفوف الجيش الحر، وضماناً للالتزام بمعايير حقوق الإنسان.

٧-هنالك مجموعاتٌ متطرفةٌ في بعض المناطق المحررة في سوريا، وهي مدعومة بالمال والسلاح؟ ما هي رؤيتكم كمعارضةٍ رسميّة؟ وكيف تتعاملون مع هذه الظاهرة؟

ربما أصبحت الأسطوانة التي نكررها حول أسباب هذه الظاهرة مشروخة، ومن الطبيعي أن يكون الأهم هو الحديث عن كيفية معالجتها. من الضروري بدايةً أن نعمل على عودة الحاضنة الشعبية للثورة، وهي بالتأكيد حاضنةٌ رافضةٌ للتطرف والعنف، ولا بد من العودة إلى محوري الثورة الفعليين: الحراك السلمي بما فيه من اعتصاماتٍ ومظاهراتٍ وأشكالٍ متنوعة من العصيان المدني، إضافةً إلى الحراك العسكري الذي يقاتل اليوم الإرهابَ المزدوج الذي سبق وتحدثنا عنه، لن يتم ذلك دون رصّ صفوفِ الجيش الحر الحقيقي، ووضع خططٍ عسكريةٍ لاعشوائية، إضافةً إلى نفض غبار اليأس عن أرواح الثوار، وبدء انطلاقةٍ جديدة للثورة السورية.

٨-وحدة تنسيق الدعم، هناك الكثير من اللغط عن آليات عمل هذه الوحدة، سهير الأتاسي مديرة الوحدة كيف تصف عمل هذه الوحدة؟

وحدة تنسيق الدعم جاءت لتكون المؤسسة الإنسانية للثورة من أجل تنظيم العمل الإغاثي، ومتابعة التزامات المجتمع الدولي تجاه الكارثة الإنسانية التي يعيشها السوريون، لقد بدأنا العمل من الصفر، لسنا خبراء في العمل في ظل الكوارث الإنسانية والحروب، كتلك الحرب التي يشنها نظام الأسد تجاه السوريين؛ كل السوريين، لذلك أنا واثقةٌ من أننا أخطأنا في بعض الأوقات، واختبرنا آليات العمل مع العديد من الخبراء الإنسانيين الدوليين والشركاء المحليين، أخفقنا تارة، ونجحنا تاراتٍ أخرى، وكانت حالنا كحال العديد من المنظمات المحلية والدولية، لكن أمانة الشعب السوري كانت في أعناقنا، لم تغادرنا بالتأكيد، تعلمنا من أخطائنا، ولم يكن ذلك سهلاً وسط تفرّق الشركاء المحليين على الأرض، وتخاذل الكثير من الداعمين، وخرق العديد من الوعود الإنسانية. باتت اليوم وحدة تنسيق الدعم شريكاً فعلياً للعديد من المنظمات الدولية العريقة، لأن الشباب العاملين فيها حرصوا أشدّ الحرص على تجاوز الأخطاء والوصول إلى آليات العمل الأكثر فعاليةً رغم أنه مازالت تشوبها بعض البيروقراطية التي يجب كسرها أكثر فأكثر.

٩-هناك الكثير من الأحاديث عن ملفات فساد داخل هذه الوحدة ما ردكم على هذا؟

آلمتني كما آلمت الشباب العاملين في الوحدة، والذين وضعوا أهلهم داخل سوريا تحت خطرِ جبروت النظام وقمعه، آلمتنا الاتهامات التي طالت عمل الوحدة دون أية مستنداتٍ ولا إثباتات، وقد قلت في معرض تصريحاتٍ لي في أماكن وأزمان متفرقة أننا مستعدون للمساءلة، وللمحاسبة في حال كان ما يتم الترويج له صحيحاً. اليوم هناك شركة التدقيق العالمية «دولويت»، تعمل على تدقيق تقاريرنا المالية، وسوف ننشر في القريب العاجل تقاريرنا المالية بالإضافة إلى تقرير شركة التدقيق المالي. للأسف الاتهامات الاعتباطية التي تطال كلّ من يعمل في المجال الإنساني، تكاد تفرّغ هذا المجال من الشرفاء، الذين أصبحوا يعدون للمئة قبل تحمّل هذه المسؤولية، بسبب الهجوم والتجريح الذي يطالهم بشكل مباشر.

١٠ -لماذا الهجوم على الوحدة وعلى شخصك؟ ما هو مردُّه برأيك؟

أعتقد أننا نجحنا في الوحدة في تحرير السوريين من الولاءات، التي غالباً ما كانت تترافق مع الدعم الإنساني، وكان شعارنا الأساس هو رفض تسييس الإغاثة، رفض مبدأ المحاصصات، الأمر الذي جعل من يستمد شرعيته من قوتِ الناس يعتبرنا وكأننا أعداءٌ له لأننا وقفنا في طريقه، وهنا بدأت الحرب على الوحدة ومحاولة كسرها أو احتوائها، وكان التركيز في حربهم عليّ لأنني كنت بالنسبة لهم حجر عثرة.

١١-نعود إلى البدايات: تجربة منتدى الأتاسي ربما تكون تجربة الحوار الأكثر ارتباطاً بذاكرة السوريين لما حملته من أمل في التغيير في مرحلةٍ عجّت بالحراك السياسي السري وشبه العلني، ماذا تحملين من تلك التجربة؟

كانت تجربة منتدى جمال الأتاسي بوابة دخولي إلى النشاط العام، كما كانت مرحلةً أعتقد أنها هامة في كسر المحظورات، ومنها الاهتمام بالحراك الشبابي، تعلمت من تلك التجربة الكثير، تعلمت كيف أن الإرادة الصادقة بإمكانها أن تقف في وجه الطغاة، تعلمت صعوبة العمل مع المعارضة الكلاسيكية، والهوة الحاصلة بين الشباب وبينها، تعلمت كيف أن العمل التراكمي يمكن أن يصل بنا إلى نتيجة، تعلمت ألا نيأس، وتعلمت أن الشباب هم أساس التغيير.

١٢ -ينسب إليك في الساعات الاولى للثورة السورية شعار (اللي بيدبح شعبه خاين) ماذا تكلمينا عن تلك الأيام؟

كنا في مظاهرةٍ تضامنية مع الثورة الليبية، كنا نعلم جيداً ماذا نفعل وإلى أين نسير، هم أيضاً كانوا يعلمون، ولذلك كانوا يعتقلون ويهددون حتى بالقتل، لم أكن صاحبةَ الشعار وإنما كنت قائلته، سيدةٌ بعمر والدتي، نشيطة وكلها حيوية ولها باع طويل في النشاط المعارض، همست في أذني: «يللي بيقتل شعبه خاين»، فرفعت صوتي بهذا الشعار، وأصبحنا نردده وعيوننا تتلاقى وتلمع، لأننا نعلم من نقصد بهذا الشعار، ثم عاودتْ الهمسَ في أذني لتقول: «يللي بيسرق شعبه خاين»، وعادت حنجرتي لتصدح بهذا الشعار أيضاً، والكل تغمره الفرحة بأننا بدأنا بهتافاتٍ تلامس بدايةَ ثورةٍ أرادها الشعب على الطغيان، ليفجّرها بعد ذلك أطفال درعا. كانت أياماً جميلة بقدر ما كانت صعبةً بالنسبة لي، لأنها ترافقت مع تهديداتٍ بالقتل تخصني وتخص ابني، ربما كان اعتقالي، والذي حصل لاحقاً في اعتصام وزارة الداخلية، أسهلَ بالنسبة لي لأضمن ابتعادهم عن ابني وأهلي. تلك السيدة لا بد أن تُكرَّم يوم تحرير سوريا، فهي تناضلُ بصمتٍ ووقار.

الجمعيات الخيرية تنقذ حلب من المجاعة، في ظل رقابة أمنية شديدة

عثمان إدلبي- حلب

في ظل الحصار الذي تعاني منه حلب والأزمة المعيشية الخانقة التي تكوي المهجرين والنازحين إلى مناطق النظام، تمد بعض الجمعيات الخيرية يد العون للمحتاجين بإمكانيات بسيطة وبجهود بعض من المتطوعين الذين يقومون بعمل إنساني بحت بعيداً عن التوجهات السياسية والطائفية، طوابير المحتاجين أمام أبواب الجمعيات في حلب تعكس حجم المعاناة والفقر والعوز المادي الذي تعاني منه أعداد كبيرة من النازحين، ولهفة المتطوعين لكي يوصلوا المساعدات للمحتاجين والنازحين الجدد تصور مشهدا إنسانياً يستحق الإكبار.

شح الدعم ..

يوجد في حلب أكثر من خمس عشرة جمعية خيرية وإنسانية تتبع أغلبيتها للهلال الأحمر السوري، فيما تأخذ بعض الجمعيات الأخرى دعمها من تجار وأصحاب رؤوس أموال سوريين، ويوجد في كل جمعية مكتب رئيسي تتفرع عنه مراكز توزيع فرعية ومستوصفات طبية في بعض الأحياء، ومعظم المكاتب الرئيسية للجمعيات كائنة في المدينة الجامعية التي تؤوي أعدادا كبيرة من النازحين، كما أن هناك مكاتب أخرى في سوق الإنتاج الكائن في حي المحافظة، تتفاوت فعاليات هذه الجمعيات تبعاً لحجم الدعم الذي يقدم لها، وكذلك تعداد كادر العمل والمتطوعين في الجمعية.

وتعد (جمعية أهل الخير) من أكثر الجمعيات فعالية في حلب، وتقدم معونة أسبوعية لأكثر منألفي عائلة، وتملك كادرا كبيرا من المتطوعين يقدر بحوالي ثمانمئة شاب وشابة، كما أن(جمعية الإحسان الخيرية)هي من الجمعيات ذات الفعالية أيضا،فهي إضافة للمعونات والمساعدات التي تقدمها للمحتاجين،تهتم بالناحية الإنسانية، حيث يقوم فريق من الشبان وبشكل مستمر بزيارة الأماكن التي تؤوي النازحين، ويقومون بزيارة المدارس لمتابعة تعليم الأطفال، محاولين إخراجهم من جو الحرب عن طريق المسابقات والحفلات الترفيهية والتربوية، وهناك البعض من الجمعيات التي تشتكي من قلة الدعم، كـ(جمعية مبادرة وطن) وجمعية (من أجل حلب) والتي تبرر ضعف فعاليتها بشح المواد والمساعدات التي تصلها، ويقول وائل، وهو أحد المتطوعين في (جمعية مبادرة وطن): «تعتمد جمعيتنا على المساعدات الضئيلة التي ترسلها المنظمات العالمية كاليونيسف ومنظمة الغذاء العالمي، والتي لا تتكافأ مع أعداد النازحين والمحتاجين في المدينة، كما نعاني من الانقطاع المستمر للطريق، والذي يقف في وجه وصول المعونات إلينا».

تبعات النزوح

أدى النزوح الكبير إلى داخل مدينة حلب إلى كثافة سكانية وإلى رفع نسبة البطالة، وإلى تعميم حالة الفقر والعوز المادي، ما جعل الكثير من العائلات التي نزحت من بيوتها والتي لم تنزح أيضا، تعتمد وبشكل رئيسي على المساعدات التي تقدمها الجمعيات الخيرية في حلب، حيث ازدادت فعالية هذه الجمعيات مع ازدياد أعداد النازحين، وتعمل أغلبها بآلية واحدة في توزيع المساعدات، وتقوم جميع الجمعيات بتوزيع مساعدات تنحصر في الغذاء والمنظفات، كما تقوم الفرق العاملة بتوزيع البطانيات والفرشات للنازحين الجدد ولمرة واحدة، وتعتبر السلة الغذائية بالنسبة للنازحين

جانب من أعمال جمعية من أجل حلب

المعونة الأهم، حيث توزع سلة غذائية واحدة لكل عائلة وبشكل أسبوعي، وتحتوي هذه السلة على بعض علب الفول وعلبتي زيت وخمسة كيلوات من السكر ومثلها من الأرز والعدس، إضافة إلى علبتي معكرونة، وتقوم بعض الجمعيات بشراء كميات كبيرة من الخبز وتوزعها بشكل مجاني ولجميع الناس وبشكل شبه يومي.

وتقول أم نجيب، إحدى النازحات داخليا إلى حلب: «عائلتي مؤلفة من عشرة أشخاص ويعطوننا سلة واحدة أسبوعيا. لا تكاد تكفينا ليومين، ولا يوجد أي جمعية تقدم مبالغ مالية للنازحين، مع أن هناك مستلزمات أخرىضرورية علينا شراؤها غير الطعام».

آلية عمل الجمعيات الخيرية لا تنصف المحتاجين

تعاني الجمعيات والمؤسسات الخيرية في حلب من خلل في توزيع المساعدات،لعدم استطاعة المسؤولين عن التوزيع التمييز بين المحتاج وغيره،ما ولد عشوائية في العمل، وبالتالي غالبا ما لم تصل المعونة إلى مستحقيها، كما أصبحت بعض النقابات المهنية والعمالية تقاسم الجمعيات على المعونات والمساعدات التي تصل إلى حلب، كنقابة الأطباء ونقابة الصيادلة،التي تأخذ حصصا شهرية توزعها على الأعضاء المسجلين.

ويقول مصطفى وهو شاب من أبناء مدينة حلب: «أصبح الأغنياء في حلب يأخذون مساعدات أكثر من الفقراء، كونهم يملكون معارف ووساطات. جاري الطبيب أراه كل أسبوع يُخرج من سيارته الفخمة كمية كبيرة من المساعدات التي يأتي بها من نقابة الأطباء، مع أنه ذو أحوال مادية جيدة ولا يحتاج للمساعدة، فالبعض من الناس تعتبر أن أخذ المساعدة من الجمعيات الخيرية مكسب مادي،دون التفكير بالأسر المحتاجة التي هي بأمس الحاجة لهذه المعونة».

يشتكي البعض من المحتاجين من الآلية التي تتبعها الجمعيات الخيرية في توزيع معوناتها،ومن المعايير التي يتخذها المسؤولون في الجمعيات، لتقييم حاجة الأسر والعائلات النازحة، كما يشتكي البعض من عدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية للأسر المحتاجة، التي تفتقد للمعيل وليس لديها دخل، كما يقوم بعض المسؤولين في الجمعيات الخيرية بتوزيع حصص من المساعدات إلى أقربائهم ومعارفهم.

تقول أم رامي وهي نازحة أخرى: «لم أتمكن من تسجيل اسمي في إحدى الجمعيات لكي أحصل على معونة أسبوعية لأنني لا املك وساطة وليس لدي معارف في هذه الجمعية».

وهناك جمعيات أخرى تعتمد مبدأ الكشف على أماكن سكن النازحين والمحتاجين لكي تقدر مدى حاجتهم للمساعدة، ويقول معتز وهو أحد

المتطوعين في منظمة الهلال الأحمر: «عندما يقدم إلينا المحتاجون طلبا للحصول على معونة ترسل المنظمة لجنة مصغرة مؤلفة من شابين أو ثلاثة للاطلاع والكشف عن مدى حاجة الشخص، ولتقدير كمية ونوع المعونة التي يجب أن تقدم له».

المتطوعون أساس كوادر العمل في الجمعيات الخيرية

تعتمد معظم الجمعيات الخيرية في حلب على الشبان والشابات المتطوعين، فنسبة الموظفين في هذه الجمعيات ضئيلة جدا وتقتصر على الموظفين الذين تندبهم الدولة إلى هذه الجمعيات، وأغلب الجمعيات تملك كوادر ضخمة من المتطوعين يستطيعون أن يغطوا كافة المهام والأعمال التي تقوم بها الجمعية، وتتميز أغلب الفرقبجو التآلف والتعاون الذي يعملالمسؤولون على نشره بين المتطوعين، ما جذب أعدادا أكبر من الشبان كي يبادروا بالتطوع في هذه الجمعيات.

هذا الجو الذي يخلو من النقاشات والخلافات السياسية،تقول لى إنها تفضله: «يوجد في جمعيتنا شبان وشابات معارضون للنظام وآخرون مؤيدون،لكن الجميع يعتبرون العمل الذي يقومون به عملا إنسانيا بحتا، بعيدا عن السياسة والانتماءات الطائفية».

الرقابة الأمنية تعرقل عمل الجمعيات الخيرية

عقبات ومعوقات كثيرة تقف في وجه إيصال المساعدات والمعونات إلى مستحقيها، ومن أبرز هذه العقبات الرقابة الأمنية الصارمة التي تُطبَّق على الجمعيات الخيرية العاملة داخل مدينة حلب، حيث تطلع الأفرع الأمنية وبشكل دوري على برنامج عمل ونشاطات الجمعيات، كما توجد خطوط حمراء لا يستطيع أحد تجاوزها عممت من قبل ضباط من الأمن،إذ يعتبر إيصال المساعدات للمناطق المحررة من المنوعات، كما تمنع الأفرع الأمنية تقديم المساعدات للأشخاص المقيمين في المناطق المحررة حتى ولو أتوا بأنفسهم لاستلامها، ويقول محمود وهو من المتطوعين في إحدى الجمعيات الخيرية:«المجلس البلدي التابع للمحافظة هو من يستلم المساعدات التي تقدمها المنظمات دولية، ويمنعالمجلس البلدي إيصال المساعدات للمناطق المحررة، وعندما تصل المساعدات إلى جمعيتنا يأتينا كتاب أمني يمنعنا من إدخالأي مساعدات للمناطق المحررة أو حتى إعطائها لأي شخص يسكن في تلك المناطق».

ويُعتبَر فرع أمن الدولة في حلب المسؤول الأول من قبل النظام عن عمل الجمعيات والمؤسسات الخيرية، وقام هذا الفرع بتعيين مندوبين له في كل جمعية لمراقبة عملها، ومن مهام هؤلاء المندوبين أن يمنعوا الكوادر من توزيع المساعدات للنازحين الذين يتحدرون من عائلات تضم معارضين حملوا السلاح في وجه النظام، ومن مهامهم أيضاأن يشوا إلى رؤسائهم بـ«التجاوزات» التي يقوم بها القائمون على العمل والمتطوعون، حيث تم اعتقال عدد من المتطوعين والمسؤولين في جمعيات خيرية نشيطة، واعتقل أغلبهم بتهمة إيصال المساعدات لسكان المناطق المحررة. كان من أبرز هؤلاء رئيسة (جمعية أهل الخير) التي اعتقلت في بداية هذا العام مع اثنين من معاونيها، ويقول محمود: «لم نعد مرتاحين في العمل. كل واحد منا معرض للاعتقال في أي وقت، هناك شخص يدعي أنه متطوع مثلنا لكن الجميع يعرفه كمخبر مندوب من قبل الأمن. يحاول هذا الشخص فتح الأحاديث السياسية لمعرفة توجهات العاملين في الجمعية ومعرفة من هم المتعاطفون مع سكان المناطق المحررة،هذه الرقابة الأمنية الصارمة انعكست على أداء المتطوعين وجعلت البعض منهم ينسحب خوفا من الاعتقال،ما أضعف كادر العمل في جمعيتنا وأضعف من فعالية الحراك الخيري بشكل عام».

توزيع المعونات للمحتاجين مرتبط بخطة أمنية ممنهجة

يتفاءل أهالي حلب عندما يرون الشاحنات الكبيرة وهي تدخل المدينة محملة بالمساعدات والمعونات،لكنهم سرعان ما يفاجؤون بالكميات التي توزع منها، ويتهم البعض منهم أصحاب الأمر والنهي من الممولين ومدراء بعض الجمعيات بعدم توزيع المساعدات إلى مستحقيها أحيانا. يقول أبو فاروق وهو من أهالي حلب: «رأيت بأم عيني سبع شاحنات ضخمة تدخل إلى سوق الإنتاج. ما فيها كان يكفي لإغاثة جميع النازحين والمحتاجين في حلب،عندما أتيت بعد يومين إلى السوق كي أستلم معونة من إحدى الجمعيات قالوا لي إنه لم يبق لديهم المزيد، ليخبرني بعدها أحد أصدقائي بأن الجمعية لا تستطيع توزيع المعونات حتى يأتيها أمر من فرع أمن الدولة، وأخبرني أيضا أنه حتى توزيع المعونات مرتبط بخطة أمنية ممنهجة وصارمة التطبيق».

يعترف البعض من المسؤولين في الجمعيات بتقصيرهم الشديد في تلبية حاجات النازحين والمحتاجين، ويعترفون بأن بعض المساعدات تذهب لغير محتاجيها،لكنهم يبررون ذلك بأنهم ليسوا المسؤولين الوحيدين عن توزيع المعونات، حيث إن رجال الأمن والشبيحة والمتطوعين في ما يسمى (كتائب البعث) يمتلكون سلطة يستطيعون بها الحصول على المساعدات من أي جمعية وفي أي وقت، ويستطيعون أنيفرضوا علينا إيصال مساعدات إلى أقربائهم ومعارفهم دون الاطلاع أو السؤال عن أوضاعهم.

ويقول فراس، وهو مسؤول عن توزيع المعونات باليد في إحدى جمعياتحلب: «يأتي إلينا الكثير من الشبيحة الذين يصطحبون أقرباءهم ويأمروننا بتخصيص معونات فورا، فنضطر لإعطائهم ما يقي شرهم، وفي بعض الأحيان يأتي عناصر من الأمن ويدعون أنهم يؤوون محتاجين ويريدون معونات لهم».

المعونات الغذائية تعرض للبيع في أسواق حلب

يعتبر البعض من الناس المعونة الخيرية مكسبا ماديا، كما أصبحت تجارة للبعض الآخر، حيث يقوم البعض من الناس بأخذ معونات غذائية من أكثرَ من مصدر ويبيعونها في الأسواق، وتنتشر في أسواق حلب المواد الغذائية التي وضع عليها لصاقة اليونيسيف أو لصاقة منظمة الغذاء العالمي، وأخرى مكتوب عليها عليها (غير مخصصة للبيع). هذه السلع دخلت الأسواق عن طريق بعض مستغلي المساعدات، الذين هم بفعلتهم هذه يقطعونها عن منكوبين قد لا يكون لديهم مصدر آخر للإعالة.

أبو رائد، وهو صاحب محل لبيع المواد الغذائية يعقب قائلا: «يقع محلي بالقرب من مقر إحدى الجمعيات الخيرية. يأتي إلي كل يوم كثيرون يعرضون بيع صناديق المساعدات الغذائية بنصف قيمتها، لكنني دائما ما أرفض شراء شيء منهم، هذا مال حرام. لكن بالمقابل يوجد العديد من أصحاب المحلات الذين يشترون هذه المواد بسبب انخفاض أثمانها، حيث يقومون بنزع اللصاقات من عليها ويبيعونها بأسعار كيفية».

معوقات ليس أولها شح الدعم ولا تسرب الكوادر ولا تضييق أجهزة النظام الأمنية، تحد من جدوى العمل الخيري التكافلي، وتضع مؤسسات العمل الخيري أمام تحدي إيجاد وسائل لتفعيل دورها والتواصل مع محتاجي المساعدات والمحاصرين في أحياء مدينة حلب، سواء المحرر منها أو ما لم يزل تحت سلطة النظام.

ليطمئن قلب أمي

جمال حسون

«عندما سمعت أمي من جارنا أن مشروع بالأخضر يقوم بتوزيع مواد إغاثية في بلدتنا كفرنبل، عن طريق المجلس المحلي، كان اليوم الأول قد مضى، أرسلتني في اليوم التالي ووقفت مع الذين ينتظرون دورهم، إما أن نأخذ سلةً غذائية أو فراشين وأغطية، عدت يومها حاملا سلةً غذائية، فرحَت بها كثيراً خاصةً وأن ما أحنيه من بعض الأعمال المتفرقة لا يكاد يكفينا الخبز، لكنها في اليوم التالي أصرّت أن أعود إلى هناك لأطلب منهم بعض الأغطية، وأنا أعرف أنه يحق لكل أسرة سلةٌ واحدة فقط، حاولت إقناعها لكنها لم تقتنع، كان ذلك محرجاً جداً»، يقول محمد ابن التاسعة عشرة فيما يجمع الحطب والأعواد الجافة حول ما تبقى من منزل أمه. أبقت القذيفة على مطبخ الأم، وتحت الركام اختفى الحمام وغرف النوم والمضافة القديمة، والبقرة التي حصل عليها والده بقرض بطالةٍ زراعي قبل عدة أعوام، وبعض الدجاجات، كان هذا البيت هو كل ما تملكه الأسرة الصغيرة، اختفى والده على أحد حواجز النظام، ولم يسمعوا عن شيئاً منذ أكثر من عام «تضعني أحياناً في مواقف لا أُحسد عليها، وفي كل مرة لا أستطيع إغضابها.. كيف أغضبها؟ لا تقل لها أني تكلمت عن الأمر، ستوبخني».

يقول محمد أنه يود لو يستطيع الانضمام إلى صوف الجيش الحر علناً، «هناك عدة كتائب، وقد نجحتُ قبل أشهر في الانشقاق عن جيش النظام والعودة إلى القرية بصعوبة، لكنها لا تسمح لي، ليس هناك من يرعاها وأنا حقاً لا أستطيع تركها، رحل معظم من نعرفهم هرباً من القصف، وهي لا تستطيع النهوض كثيراً، أشعر بالحرج أحياناً من شباب القرية، اتسلل أحياناً معهم لكنني لا أستطيع إخبارها، أقوم ببعض الخدمات اللوجستية في بعض الأوقات، تقول أنني ولدها الوحيد وقبل أن يعود والدي لن تتركني أذهب».

(م ع) أحد العاملين في مشروع بالأخضر، والذي يعرف أوضاع محمد ووالدته، يقول بأن رئيس المجلس المحلي عدنان القاسم سأل عن محمد وعن سبب مجيئه لثلاثة أيام إلى المجلس المحلي، «شرحنا للسيد عدنان القاسم رئيس المجلس المحلي بأن محمد هو منشق ووحيد لوالدته، وأن أوضاعهم المعيشية هي غاية في التردي، فأرسل أشخاصاً ليستقصوا عن حالته وعادوا إليه بنفس التوصيف، عندها قام السيد عدنان بالاتفاق مع بقية الأعضاء بمنحه حصتين إضافيتين من حصص أقرباء لهم، وبالمقابل تم تعويض الأسرتين بمبالغ مالية توازي الحصتين على حسابهم، يبدو أن ذلك كان منصفاً، فأحوال الناس لا تتساوى مع بعضها، ومن الجميل أن يضرب الناس أمثلةً في التعاطف والتعاضد».

يعمل محمد اليوم في أحد مشاريع بالأخضر في بلدته كفرنبل، وهو برنامجٌ أطلقته وحدة تنسيق الدعم ACU لدعم المناطق المحررة عن طريق دعم مشاريع الغذاء والتعليم والصحة وتأهيل المرأة ، حيث يهدف البرنامج إلى تأهيل الكوادر والأفراد والهيئات الموجودة في هذه المناطق ليتمكنوا من استلام زمام المبادرة وإدارة شؤون مناطقهم بأنفسهم، سعياً وراء تأهيل المرافق الخدمية بأيدي أبناء تلك المناطق وإعادة إعمارها.

بدأ البرنامج أعماله في ريف إدلب، وتحديداً في كفرنبل وسراقب ويتم توسيع نطاق مشاريعه اليوم ليشمل أكثر من بلدة ومدينة. للأهالي واحتياجاتهم الأولوية في هذا البرنامج.

بعد دعم الجانب الإغاثي في المنطقة بحيث يغطي احتياجات الأهالي قرابة الشهرين، قدم برنامج بالأخضر خطةً متكاملة لإعادة الإعمار والتأهيل تتضمن عدة جوانب، تدعم بطبيعتها الجوانب المدنية وتعيد إدخال الشبان وأصحاب الحرف الذين فقدوا أعمالهم ضمن دائرة الإنتاج المحلية، من آليات ومشاريع بناء وترميم خطوط الكهرباء والمياه بالإضافة إلى المولدات والآليات ومواد البناء اللازمة، يتم تنفيذ هذه المشاريع بالتنسيق مع المجلس المحلي في المدينة بحيث يغطي قدر الإمكان احتياجات المنطقة.

كما يقوم مشروع بالأخضر بدعم قطاع الدفاع المدني، وذلك عم طريق تزويد المجلس المحلي بعدة آليات تساعد في تنظيم شؤون المدينة، وتساهم في رفع الأنقاض بعد القصف الدائم على تلك المناطق.

يقول محمد: «سمعت كثيراً من اللغط حول البرنامج، اعتاد الأهالي اتهام كل من يعمل في الإغاثة مثلاً بالسرقة، وكل من يعمل في الخارج بالعمالة، في الحقيقة لم أجد عيباً في عملي مع المشروع، نحن نعيد بأيدينا بناء المدارس ومباني الخدمات المتضررة، وأستطيع أن ألاحظ حماسة الشباب، فنحن من يعمل، وليس مطلوباً منّا إلا التفاني في العمل، وكله في خدمة أبناء البلدة، وفي المقابل لن يكون عليّ انتظار دوري للحصول على سلةٍ إغاثية أو معونةٍ من أحد، بدأنا نرى بعض المظاهر الإيجابية الجيدة بين الناس، كنا محرومين من أن نشير إلى الظواهر الصحيحة ونشجعها، تستطيع أن تشعر بهذه الأجواء الإيجابية اليوم».

في نهاية حديثه يبتسم محمد ابتسامةً خجولة: «الآن لن تستطيع أمي إحراجي وإرسالي لأخذ السلة الإغاثية، فأنا أعمل وأستطيع أن أكون قريباً منها، أظن أن قلبها مطمئن الآن».

مهارات سـورية على الأرض التركيـة

نوار خليفة

لكل قصته، ولكل أمل تجدّدٌ في الحياة. آلاف القصص السورية المؤثرة في معاناتها وإرادتها، والنتيجة واحدة: وهي أن جميع أصحابها يعيشون في هذا العالم غير العادل، يستمرون في الحياة وفي المقاومة. هنا حيث للغني والظالم مكان، أما الفقير والمظلوم فتبقى له الأحلام التي ربما، ربما تتحقق ذات يوم..

إحدى أكثر قصص التغريبة السورية قوةً وحماسة، قصة نساء سوريات خرجن نازحاتٍ من سوريا هاربات من قصفٍ جائر وسط شحّ مدقع في أبسط مقومات الحياة.

نجلاء وصديقاتها، تعرفتُ عليهن مصادفةً خلال السنة الماضية في مدينة كلس التركية، التي يفصلها عن الأراضي السورية أربعة كيلومترات، نزحن إليها آملاتٍ أن يجدن ظروفاً أفضل، حيث لم يلعب الحظ إلى جانبهن، واصطدمن بالواقع المر الذي يعيشه معظم السوريين: لا عمل، لا مأوى، ولا طعام.

تحدثنا نجلاء بأن مشاهد النساء اللواتي يقفن في طوابير للحصول على رغيف خبزٍ هزتها كثيرا، أكثر من مشاهد أخرى قد تحرّك العواطف. النساء اللواتي يبحثن عن لقمة يُعِلن بها أبناءهن، حسرتهن وبكاء الأطفال عند اكتشاف أن ما توزعه المنظمات الإغاثية رغم ندرته أصلًا، لم يعد متوفراً ولم يعد لدى هذه الجمعيات ما تقدمه لهن.

بعد أن عقدت نجلاء مقارنةً بين وضع المرأة في سوريا من قبل، وما آلت إليه حالها الآن في ظل هذا التشرد، وحيدةً دون زوجٍ أو أخٍ أو معيل، حيث الرجال بقوا في سوريا للقتال وحماية الديار، قررت أن تصنع شيئا صغيراً تستفيد منه النساء. ورشة لصنع ملابس من الصوف. خطوةٌ جديدة للسوريات في كلس علّها تعود عليهن بالمنفعة المادية والثقة بالنفس.

اختارت نجلاء هذه المهنة ضمن إمكانيات وخبراتٍ قليلة متوفرة، حيث وجدت أحد الأتراك الطيبين، الذي وافق على منحهن مبلغاً من المال كدينٍ يوفى لاحقا، وبما يكفي لشراء الصوف ومستلزمات

فتاة عاملة في مشغل الصوف - كلس

إحدى السيدات العاملات في مشغل الصوف - كلس

العمل الأولية لانطلاق الورشة.

عملت النساء في هذا المشروع الصغير متحدياتٍ قلة الخبرات ووضع مدينة كلس الاقتصادي غير المزدهر، إذ إن كلس تفتقر في الأصل إلى الأسواق الكبيرة، وتتميز ببساطة دورة الإنتاج والاقتصاد فيها.

صنعت النساء موديلاتٍ جميلة من الملابس التي تتنوع أشكالها وألوانها، وأيضا القبعات الشتوية التي تحمل ألوان علم الاستقلال في إشارةٍ منهن إلى المواظبة على المسير بثباتٍ نحو إسقاط النظام المجرم ونيل الحرية والكرامة رغم كل الآلام.

أرادت نجلاء وزميلاتها أن يفتتحن معرضاً يعرضن فيه ما صنعن من ملابس الصوف، لكنهن اصطدمن بعائقٍ بيروقراطي يتعلق بعدم قدرتهن على الترخيص للمعرض وافتتاحه دون موافقاتٍ من المعنيين في الحكومة التركية.

لكن هذا لم يوقفهن أو يفتّتْ في عَضُدِهن، حيث ذهبنَ إلى الوالي في المدينة وأخذن الموافقة بعد شرح المسألة برمتها، وحضر الوالي بنفسه افتتاح المعرض، وتمّ فيه بيع بعض المنتوجات، وقد أعطيت النساء العاملات كامل أجورهن، وأعادوا مبلغ رأس المال الذي ابتدأن به إلى الرجل التركي الكريم الذي موّل انطلاقة المشروع.

ولقي المعرض إعجاب وتقدير وتشجيع عموم زواره، وهذا ما دفع النساء السوريات لتكرار هذه التجربة الناجحة لافتتاح مشغلٍ جديد خلال العام الجاري.

وتطمح النساء الحائكات في مدينة كلس إلى تطوير العمل باتجاه إقامة دوراتٍ تدريبية على مختلف المهن اليدوية، كالخياطة وتجميل السيدات وغيرها من المهن التي قد تعيد للمرأة السورية شيئا من إحساس الثقة بالنفس والقدرة على تحدي مصاعب الحياة، وهو شعورٌ افتقدته مع بداية مأساة اللجوء.

العودة إلى ممارسة الحياة اليومية بشكلٍ طبيعي وبكرامة ورؤوس مرفوعة، بعد كل الصعوبات التي واجهتها تلك النسوة، هي المكسب الأول بالنسبة لهن من كل ما حدث.

وتطمح النساء إلى توسيع معرضهن في هذا العام ليشمل بعض المدن التركية المجاورة، في خطوةٍ تهدف لإيجاد مجالاتٍ أرحب للعمل، وبهدف استقطاب المزيد من السوريات والسوريين في المستقبل لهكذا وسائل فعّالة في العمل الجماعي التضامني.

أطفال في زمن البارود

عزة سليمان

لا تكاد تمشي في شوارع المدن المحررة إلا وتلاحظ انتشار المظاهر المسلحة بكثرة، من رجال الجبهات إلى سيارات تحمل بي كي سي، وأخرى تحمل ذخائر وأسلحة، إلى بسطاتٍ لبيع الأسلحة غير المرخصة من الجهات المسؤولة في المدن المحررة، وليس من الغريب أن تجد طفلاً يبيع على إحدى البسطات. فالأطفال يشهدون بشكلٍ يومي الأحداثَ المسلحة من اشتباكاتٍ وغيرها، وأعقب ذلك بروز ظاهرة الأطفال المسلحين والذين يتطوعون للجهاد على الجبهات، ويجدون صدراً رحباً لاستقبالهم من قبل بعض الفصائل العسكرية، وغياب الرقابة التي تحول دون وصول السلاح إلى أيادي الأطفال، حيث أصبح السلاح لعبتهم المفضلة، وهنا الطفل عبد الحفيظ والذي نزح من حمص يقول: «صرت بحب شيل سلاح من أول ما صارت الثورة، لأن بيعجبوني الكتائب يلي عم بدافعو عنا»، في مدينة منبج يحدث أن تجد أطفالاً يتجولون في الشوارع ويحملون أسلحةً حقيقية يتدربون على استعمالها وأطفالاً على الحواجز، وآخرين يشاركون في الجبهات، حيث تعبر إحدى الفتيات عن أسفها لهذه الحالة: «وجود المظاهر المسلحة في كل مكان مشكلة، وهالشي عم بيأثر عالأطفال لحد كبير، ومسؤولية الأهل إخفاء هذه المظاهر في البيت عن الطفل، والواجب إبعاد الأطفال حتى عن شراء الألعاب يلي بتشبه الأسلحة، والانتباه إلى البرامج يلي عم بشوفها الطفل، ونبعدو عن المشاهد الدموية، وبنوصل للطفل أهمية الروح الإنسانية والحرص على عدم هدرها»، حيث سبب حمل الأطفال للأسلحة وانخراط بعضهم في العمل العسكري حدوث أخطاءٍ جسيمة، من قتلٍ بالخطأ، لى ردود فعلٍ انتقامية، وصولاً إلى أن يؤذي الطفل نفسه نتيجة لعدم خبرته، فالسلاح يحتاج إلى وعيٍ لاستيعاب طرق استخدامه ومحظوراتها، إضافةً إلى ابتعادهم عن المدرسة وتدني عدد الأطفال الذين يرتادون المدارس ، ويحدثنا الدكتورمحمد نور الحاج حسن وهو أخصائي نفسي: «مجتمع شرقي رجولي حيث كان الأطفال قبل الأحداث يلعبون بالمسدسات غير الحقيقية ولكن وجودها حالياً كأمر واقع يجعل المعادلة مختلفة «الطفل مقلد» يحاكي أفعال الكبير ، فإذا كان الوسط المحيط بالطفل على قدر من الوعي سيكون التأثير خفيف ، أما إذا كان المحيط يتفاخر بالسلاح سيتحول الطفل إلى مجرم «للبيئة دور أكبر من الوراثة» ، قساوة الحياة تؤدي إلى إنسان مجرم ويلعب المحيط دور في ذلك (الأسرة –المدرسة –الحي...)، ومثال ذلك كلمات الأمهات «ابني بس تكبر رح تصير مجاهد كبير وو..»، فهذه الكلمات من سلبيات المجتمع الشرقي حيث يفترض أن تبدأ هذه الأمور في سن المراهقة». من الصعب إلغاء هذه المظاهر بشكلٍ كلي، وإنما يمكن الحد منها كمظاهر وكنتائج ولو بشكلٍ جزئي، ويساعد وعي الأهالي في التخفيف من أثرها قدر الإمكان، وإعادة توجيه الأطفال إلى الطريق الصحيح والتأكيد على أهمية دور الجهات المسؤولة في المدن المحررة،من مجالس عسكرية في السيطرة على هذه الظاهرة ،ووضع شروط وقواعد للانتساب إلى صفوف المجاهدين، وضبط التواجد المسلح في المدن، والتنسيق مع المجالس المحلية من خلال إعادة الأطفال إلى مدارسهم وتشجيعهم على اقتناء الألعاب التعليمية والتفاعلية بدلاً الألعاب الشبيهة بالأسلحة. السلاح نزع الأمان من قلوبنا، والذي سيعود بنزع السلاح من شوارعنا.

خاص حنطة

التكتلات الثورية في حلب، إلى أين؟

عماد نجم حسو

من أفراد عاديين شاهدوا على شاشات التلفزة شعوباً تتحرر من أنظمتها الفاسدة، وحلموا بثورة تزيل عصور الظلام والاستبداد، إلى مجموعات وحلقات صغيرة تعمل كخلايا نحل، تنسق وتنظم وتحضر للمظاهرات والاعتصامات، كسروا خوفهم من أعتى الأنظمة العالمية استبدادا وديكتاتورية، وقدموا أرواحهم فداء للحرية المنشودة، وأظهروا للعالم أجمع، إرادة الشعب السوري في الحياة ورغبته في تقرير مصيره .

مشاعل الحرية، أحفاد الكوكبي، تنسقية التآخي الكوردية، تنسيقية جامعة الثورة، شباب ثورة حلب.. كلها مجموعات ثورية كان لها الأثر الكبير في رفع وتيرة الحراك الثوري في محافظة حلب، وفي إيصال صورة وحشية النظام ودمويته في قمع الاحتجاجات.

عمل الثوار منذ البدء على إيجاد جسم ثوري يجمع كل تنسيقيات الثورة في حلب، فكان منها المجلس العام لقيادة الثورة، والذي استطاع أن يحمل لواء الثورة في المدينة وأن يجمع العديد من التجمعات الثورية والتنسيقيات والكثير من الناشطين في جسم واحد على الرغم من اختلافاتهم الأيديولوجية. هدفهم بإسقاط النظام ونيل الحرية كان أقوى من كل تلك الاختلافات. لم يصمد المجلس العام كثيراً بعد تحرير الجيش الحر أجزاء من مدينة حلب، حيث لم يعد له أي ثقل ثوري على الأرض. إهمال النشاط الثوري وتركيز المجلس على خوض أعضائه انتخابات مجالس المحافظة والمدينة في حلب الحرة أدخل العديد من الناشطين حيز العمل المؤسساتي، كما أدى إلى هجرة البعض له، ولهذا ونتيجة للفراغ الموجود على الساحة الثورية الحلبية، نشهد يوما بعد يوم إعادة تفعيل نشاط بعضها، وولادة تكتلات أخرى جديدة.

شباب ثورة حلب، منظمة ثورية ظهرت في مرحلة الحراك السلمي، وهي نتاج اندماج عدة تنسيقيات في أحياء مدينة حلب آنذاك. شارك أعضاؤها في التنسيق والتنظيم للمظاهرات السلمية.

يحدثنا ملهم سمير، المنسق العام ومسؤول العلاقات العامة في شباب ثورة حلب قائلاً: «تأسست منظمة شباب ثورة حلب في ٢٠١١/١٠/٢٩ وكانت نتاج اجتماع الكثير من ناشطي مدينة حلب. عملت على زيادة حجم المظاهرات وتوسيع رقعتها من خلال التنظيم والمشاركة في مظاهرات أحياء حلب. علق شباب ثورة حلب نشاطهم بعد تشكيل المجلس العام لقيادة الثورة، كما رفدوا المجلس بكوادرهم ليكونوا شركاء في تشكيله، ولقد أعلنت كوادر المنظمة إعادة هيكلة شاملة في ٢٠١٣/١٢/٢٥ لتفعيل نشاطاتها من جديد بعد توقف المجلس العام عن النشاط الثوري وانخراطه في مجلسي المدينة والمحافظة في حلب المحررة.

كما طرحت تعديلا لنظامها الداخلي، وتعديلات في الخطوط الفرعية لاستراتيجية المنظمة، لتسهم بشكل أكبر وأسرع في تحقيق أهداف المنظمة وصولا للرؤية العامة».

ويتابع ملهم بالقول: «شارك شباب المنظمة بالإضافة للمظاهرات السلمية والاعتصامات والإضرابات، في الكثير من النشاطات الثورية والأعمال المدنية، حيث قمنا مؤخراً بتكريم عناصر الدفاع المدني شكراً على جهودهم،

لافتة ثورية - حلب

ودعم طلاب المدارس في حلب بالإضافة إلى مساهمتنا في تشكيل بعض مجالس الاحياء ومجلسيّ المدينة والمحافظة..».

ملهم ينفي وجود نية بتكوين حزب سياسي في المرحلة المقبلة، ذلك أن «نشاطنا يعتمد على المناصرة والدفاع. نحن أقرب لمنظمة مجتمع مدني وسيكون نشاطنا مستقبلاً في هذا المنحى، حيث نقوم بورشات توعية وتدريب حول مفاهيم منظمات المجتمع المدني والمواطنة وحقوق الإنسان».

بالمقابل شهدت حلب ولادة تكتلات ثورية جديدة، حيث قام بعض الناشطين بتشكيل تجمعات ثورية محاولين تنظيم أنفسهم من جديد. من هذه التجمعات الوليدة اتحاد ثوار حلب.

يخبرنا مهند عباس رئيس المجلس التنفيذي ومدير المكتب السياسي في الاتحاد: أنه وبسبب حاجة الثورة الملحة في مدينة حلب إلى تشكيل كيان ثوري يضم جميع الثوار ويوحد جهودهم ويرص صفوفهم من أجل تحقيق أهداف الثورة والقضاء على التشرذم وتشكيل كتلة ضغط واحدة برأي واحد في الشارع السوري بما يخدم مصلحة الثورة وإسقاط النظام.

«عملنا على تشكيل هذه الاتحاد لهذه الأسباب. نحن في اتحاد ثوار حلب نؤكد أن الاتحاد مؤسسة ثورية ذات شخصية اعتبارية، ولقد عمل منذ تأسيسه على مواكبة مختلف أحداث الثورة، حيث قام بتقديم المعونات الإغاثية بالإضافة إلى تكريم أمهات الشهداء.

أطلق الاتحاد حملة توعية تربوية تحت اسم (بالعلم نحيا)، كما قام بحملة (خربشات ثورية) وذلك بهدف استرداد وزخم الثورة أيام الحراك السلمي. نسعى الآن للعمل على تشكيل لجان حماية مدنية لمؤسسات الدولة، وحماية المناطق التي سيتم تحريرها إن شاء الله..».

ويواصل محدثنا من بين تقاسيم وجهه المغضن: «نحن في هذه المؤسسة الثورية بابنا مفتوح لكل المجاهدين والثوار، العسكريين منهم والناشطين المدنيين، وكل المجالس والهيئات الثورية، لنكون يدا واحدة نحو بناء دولة العدل والمواطنة».

لجوء الناشطين إذن، إلى تنظيم أنفسهم من جديد، ومحاولة تفعيل منطماتهم ومؤسساتهم الثورية من خلال القيام بنشاطات مدنية وثورية يجسدون عبرها مفاهيم الثورة ومبادئها في أعمالهم، بهدف لتحقيق أهداف هي نفسها لدى الجميع. فهل تراها وصلت إلى مستوى طموحات الثوار والأهالي وآمالهم؟ وهل استطاعت أن تجمع جميع الثوار في بوتقة واحدة بعد أن كانوا كذلك أيام الحراك السلمي؟

قمنا بحمل هذه التساؤلات إلى بعض ناشطي الثورة.

وفي حديثنا مع الناشط والإعلامي سيف عزام حول التكتلات الثورية بشكل عام ومدى تأثيرها وفعاليتها علق قائلا: «نحن بحاجة لتجمعات عمل مدنية ثورية، لكن للأسف حتى الآن لم يلب أي تكتل طموحات الثوار وآمالهم، التعصب للتكتل وعدم التعاون مع التكتلات الأخرى هي من أكثر السلبيات والأخطاء التي يقع فيها الجميع، كما أن معظمها قائم على الشللية، حيث تقوم مجموعة من الأصدقاء أو أبناء الحي الواحد بتشكيلها. أعتقد أنها يجب أن تخرج من حالة التقوقع التي تضع نفسها فيها، وأن تعمل على أن تزيد من أعضائها وأن توسع نشاطاتها وترفع من وتيرتها، وأن يكون لها دور أكبر في المجتمع. للأسف حتى الآن لا يوجد قيادة ثورية واحدة في حلب، ما أدى إلى الكثير من الفوضى وعدم التنظيم والصراع بين الناشطين أنفسهم».

توجهنا في مناقشة موضوعنا هذا إلى الاستاذ حسن برو، مدير تحرير صحيفة (كلنا سوريون)، الذي اعتبر أن تنسيقيات الثورة كانت الصيغة الأولى لتنظيم الثوار لأنفسهم، لكن قلة الخبرة التنظيمية والسياسية جاء بالوبال على التنسيقيات النابتة حديثا من ركام الاستبداد ومن إرادة جامحة للحرية، ما يحتم البحث عن جسم ثوري يستطيع توحيد جهود الجميع نحو البوصلة الأساس وهي المشاركة الفاعلة ببناء سوريا الجديدة.

«بقيت الحالة الأنوية الضيقة مسيطرة على شكل العمل على الرغم من تشكيل تكتلات بأسماء مختلفة حينها، ولكنها نجحت في أن تكون حالة أكثر تنظيما. للأسف صارت الخلافات بين رفاق التكتل الواحد تستدعي تشكيل تكتل جديد ينشق مباشرة عن التكتل السابق الذي كان منتمياً له.. وكما قلنا تضخم الأنا وضيق زاوية الرؤية ساعد في تنامي هذه الظاهرة. طبعاً وجود تنظيمات ثورية مدنية يشكل ضرورة موضوعية، وهي مهمة وعلينا دعمها وصقل تجربتها، لكن هل تنجز شيئاً حقيقياً على الأرض؟ هل ساهمت بنقل تجربتنا الثورية من حيز إلى حيز آخر؟ برأيي هنا المشكلة».

ويتابع السيد برو شارحا ما يراه من أن استمرار التخبط بموازاة استمرار معركة الاستحواذ على الشرعية وصفات النقاء الثوري، دائما ما سيطرت على كل مجموعة كحقيقة وحيدة تنفي الآخر وتعزلها عما عداها من التكتلات.

ويختم الرجل بالقول: «لن أدخل في تسميات محددة، ولكن صارت هذه التشكيلات الثورية، بخاصة في المرحلة الأخيرة، حالة صورية أكثر منها ميدانية، صارت حلبة للتنازع حول الشرعية والثورية أكثر منها تكريسا لقيم ثورة الحرية. نعم، البعض ممول من جهات داعمة وبالتالي هو يدري، أو ربما لا يدري، أنه ينفذ سياسات الداعمين. دكاكين السياسة انتقلت لتنسيقيات وتنظيمات الثوار المدنية، وأتوقع أن نشهد في الفترة القادمة أكثر من شكل لهذه الدكاكين، ما علينا إلا العمل معا وبإخلاص...».

لربما يشكل الأمر على ما هو عليه، حالة صحية، وشكلا من أشكال التجربة السياسية، وعلينا جميعاً أن نتقبل فكرة وجود الآخر المختلف، وأن نتعلم كيف نوجه طاقاتنا لخدمة النظام السياسي والاجتماعي الذي نصبو إليه، والذي يحقق دولة عادلة ومجتمعا حرا وإمكانيات تنموية متاحة وواسعة الآفاق..

صـــدّقـــوا روخـــــس مـيـــش !

وائل زكي زيدان

حين نقرأ خبراً ما عن أيّ ديكتاتور، فإننا حتماً ننتظر منه أن يفاجئنا بتصرفٍ عجيبٍ منافٍ للياقة العامة، أو تصريحٍ طريف بعيدٍ عن المنطق، أو قراراتٍ غبيةٍ متهوّرة غير مدروسة العواقب، ذاهلين بما تتفتّق عنه مخيلاتهم الإجرامية من تصفية الخصوم وتغييبهم. وما اكتراثنا بما يصدر عنهم من نزواتٍ وشطحاتٍ غريبة إلاّ لغرض الحصول على ذلك الإحساس العالي بالاندهاش، والمزيد من جرعات الضحك والسخرية والخوف، كمن يسير على رجليه ليبتاع بنفسه أفلام الكوميديا والرعب!.

تقرأ عن عيدي أمين ١٩٢٥-٢٠٠٧ مثلاً، أنّه في ٩ أغسطس ١٩٧٢ أمهل ما يقارب ٧٠٠٠٠ مقيم آسيوي ٩٠ يوماً لمغادرة البلاد بناءً على رؤية رآها في منامه، ادّعى فيها أن الله أوحى إليه بطرد هؤلاء الناس. ومن غرائبه أيضاً أنه منح نفسه ألقاباً كبيرة، كرئيس مدى الحياة وهازم الإمبراطورية البريطانية وملك اسكتلندا!. وعن الامبراطور الروماني كاليغولا ٣١-١٤ م أنه عيّن جوادهُ المفضّل -انسياتونس- قنصلاً لمدة عام!.

ومن ساديّة إسلام كريموف رئيس أوزبكستان الحالي، نطالع عنه في مذكرات الرئيس البريطاني السابق هناك كريغ موراي (جريمة قتل في سمرقند) وصفاً بشعاً لأساليب تصفية المعتقلين السياسيين، وذلك بغليهم بالماء حتى الموت!. ونقرأ أيضاً عن القرار الكارثي الذي أصدره ديكتاتور رومانيا السابق نيكولاي تشاوشيسكو عام ١٩٦٦ بحظر جميع وسائل منع الحمل وعمليات الإجهاض، وفرض (ضريبة عزوبية) على الأُسر التي كان عدد أطفالها أقل من خمسة. حيث عمد أطباء الدولة -المعتبرون كرجال شرطة الحيض- إلى إجراء فحوصاتٍ تناسليةٍ للنساء في سن الإنجاب في أماكن عملهن لمعرفة فيما إذا كنّ أنجبن ما يكفي من ذريّة، وكانت النتيجة أكثر من ١٧٠٠٠٠ طفلٍ تربّوا في دور الأيتام!.

ثم يدفعك الفضول للبحث والتفتيش في سيرهم الذاتية. شخصياتهم، وتواريخ حياتهم، وبيئاتهم، وفيزيولوجياتهم دون جدوى، فأنت لن تجد شيئاً يدلّك على أسباب جنونهم وغرابة أطوارهم، ولن تنجح بالحصول على أية معلومة تجعلك تتنبأ بما سصبحون عليه بعد استلامهم للسلطة.

تستنتج الممثلة المسرحية الصربية مارينا ابراموفيتش بعد سلسلةٍ من التجارب التي قامت بها شخصياً، أن البشر الذين نتعامل معهم يومياً مهما اختلف عرقهم وسنّهم وخلفياتهم قادرون على ارتكاب أفعالٍ شنيعة ولكن إن أتيحت لهم الفرصة فقط!. وأهم ما خرجت به في اعتقادي، هو الحكم أن السلبيّة، حالةٌ متطرّفة كالعنف. وهنا يجب التفريق بين السلبيّة والسِلمية، فعلي سبيل المثال، الزعيم «غاندي» لم يكن سلبياً علي الإطلاق في مواقفه حتي وإن قاوم الاحتلال البريطاني بشتّى الطرق السِلمية.

هل هناك أساسٌ بيولوجي للتسلّط والإجرام والخداع؟. حتّى هذه اللحظة لا يوجد، ولا يستطيع العلماء حالياً التنبؤ، ولو بنسبة ٨٠ في المائة، بشأن الأطفال الذين سيكتسبون فيما بعد نزعةً عدوانية خطرة، وأنت حتّى على الصعيد العِلمي وفي محافله المرموقة ستسمع مثلاً، أن عالم النفس (M هاوزر) من جامعة هارفارد الذي كتب يوماً مقالة بعنوان: (ثمن الخداع: الغشّاشون لابد وأن يلقوا العقاب يوما ما) هو الآن خارج العمل، حيث إن المكتب

الأمريكي للنزاهة في مجال البحث العلمي قد انتهى إلى أنه قد «لفّق بيانات بعض أبحاثه، وتلاعب بنتائج العديد من تجاربه، ووصف كيفية قيامه بعمل دراساته بطرق لا تتطابق مع صحة الوقائع.»، ولك أن تتخيّل معي آلاف الدراسات الطبيّة المُبركة والتي من المُفترض أن تكون موثوقة ولشخصيات علمية مشهورة وما ينتج عنها من أضرار جسيمة بحق الملايين كل يوم. في المحصّلة، نحن لن نتوانى عن ارتكاب الفظائع فيما لو تهيّأت لنا الظروف والمناخات لذلك. ولا خيار أمامنا إلاّ بوضع قيود، والاشتغال على بيئة مانعة خالية من الثغرات التي قد تسمح لأحدهم بالتحوّل إلى طاغية ومستبد. فعندما يصف/روخس ميش/ الذي كان من الحرس الشخصي لهتلر بأن سيّده «رجل طبيعي جدا، ولم يكن متوحشا كما يصوّرونه.» علينا أن نصدقهُ!.

لم أكتب هذه المادة الأشبه بالتقرير والمليئة بالإقتباسات، إلاّ من شدّة حرصي على الثورة السورية، لما أراه كل يوم من صور وأعمال فظيعة هنا وهناك، خصوصاً على يد مسلحي المعارضة، فنحن متّفقون أن خيال النظام الإجرامي بلا سقف، وهو -أي النظام- آخر ما توصّلت إليه الهمجيّة، ونحن لهذه الأسباب بالذات قمنا بثورة ضدّه، فمن غير المنطق أن نكون حريصين على التّشبّه بهِ والإستسلام لردّات الفعل، وليس في نيتنا

من أشبال الأسد.. إلى أطفال الحواجز

لبنى زاعور

من معسكرات تستقدم الأطفال لتلقينهم عقائد الحزب الواحد، وحب القائد المفدى، إلى معسكرات تُستخدم كمقرات أساسية لزرع عقائد التنظيم المتطرف والتكفيري للأطفال، يعمل «تنظيم دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام» في الرقة على تجنيد الأطفال وجعلهم وسيلةً هامةً لزيادة تجذّرهم وهيمنتهم في المنطقة، حيث يتم إخضاع الأطفال إلى دورات تحت اسم (دورة الأشبال)، من خلالها يتم العبث بطفولتهم وتخريبها لتتحول أحلامهم الطفولية إلى فكر متطرف يتقبل القتل ويجيز حمل السلاح عن طريق غسل دماغيّ يتّبعه غالباً الجهاديون المهاجرون مع الأطفال، ويتم إخضاع كل طفل منتسب إلى مشاهدة الإعدامات الميدانية وتعذيب المعتقلين، ليجعلوه معتاداً على مشاهد الدم و القتل، وهي وسيلةٌ لفضّ مضاجع الطفولة في داخلهم .

ومن أهم معسكرات التدريب (معسكر عكيرشة، الطلائع، معسكر تل أبيض)، والتي أصبحت معقلاً لأطفال يتلقون من خلالها التدريب العسكري والمتطرف لسلب القيم الإنسانية، وتتراوح أعمارهم ما بين ٩-١٤ سنة، وبحسب مصادر قُدّر عددهم ما بين ٤٠٠ إلى ٥٠٠ طفل يحمل بندقية، غالباً ما تسبقه طولاً وحجماً، لعب الناصرون لتنظيم «دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام» من أبناء المحافظة دوراً كبيراً في عملية التجنيد، إذ قاموا بتقديم أبنائهم وأبناء أقاربهم لـ«دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام» محاباةً لها، وطمعاً بارتقائهم لمناصب لديها، كما أن الأطفال المنتسبين الأوائل عملوا على سحب رفاقهم عن طريق إقناعهم، ولوحظ في المدينة أن عناصر «دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام» يتعاملون مع الأطفال بطريقةٍ خاصة، فمن تقديم المشتريات لهم ومداعبتهم لتحسين صورتهم للسيطرة على عقولهم، وهناك عدة حالاتٍ حصلت بعمليات خطف، حيث يحظّر على الأهالي استعادة أطفالهم أو مجرد السؤال عنهم، غير أن الأطفال بعد تلقينهم

تدريب الأطفال على السلاح

عقيدةَ التنظيم، يصبحون أكثر ميلاً للعنف ونبذاً لتربية أهاليهم، حتى أنهم يصلون حد تكفيرهم، حيث أشار الناشط أبو عبود الرقاوي إلى قصةٍ حدثت مع أحد موظفي الأمم المتحدة بعد لقائهم بأطفال كانوا قد جُندوا ليكونوا طعماً سائغاً تلتهمه آلة الحرب، بادر الموظف بسؤال الطفل: «كيف يوافق والداك على تجنيدك؟»، فأجاب الطفل: «أهلي كفرة». بعد مدةٍ تتجاوز الشهرين من التدريب يصبح الطفل عنصراً جاهزاً لاستخدامه في صفوف تنظيم «دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام»، فيتم توظيف بعضهم كمخبرين لهم، ويُفرز العدد الأكبر منهم على الحواجز وحراساً لمقراتهم لمنع أي عمليةٍ ضد مراكزهم التي يتم تحصينها بأطفال المدينة، كما تم إشراك الأطفال المجندين في المعارك الأخيرة التي شهدتها الرقة بين تنظيم «دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام» والفصائل المسلحة الأخرى، و راح ضحيتها العديد من الأطفال، ويُستخدم بعضهم (للتذخير)، فيحملون حقيبة مدرسةٍ مدججة بالذخيرة لتلقيم السلاح، وتجهيزه للعناصر المقاتلين، الأمر الأكثر خطورة الذي يخافه الأهالي هو استخدام الأطفال وتدحيجهم بالمواد المتفجرة لعمليات التفجير، نظراً لسهولة دخولهم بين المدنيين (كما حصل سابقاً في أفغانستان والعراق). يقول أحد الناشطين: «دولة الخلافة رح تروح عاجلاً أم آجلاً لكن الأطفال رح يبقوا على نفس الأفكار»، منوّهاً إلى خطورة المستقبل الذي يهدد المدينة من فكرٍ سامّ زرعته في نفوس الأطفال. ونختم بقصةٍ قام بمشاركتنا بها الناشط المدني عبد العزيز حجو، دلالةً على أن مكامن الطفولة داخل الأطفال تبقى حيةً ولا تموت مهما عُبث بها، يقول أنه وفي عيد الأضحى الماضي دخلت من معبر تل أبيض امرأة، كانت وجهتها الرقة، وفي منتصف الطريق أوقف سيارتهم حاجز تابع لتنظيم الدولة، فوجئت بأن عناصره كلهم من الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم ١٤ سنة، طلب أحد العناصر تفتيش السيارة و بدأ التفتيش، فتح إحدى الحقائب فوجد فيها ألعاباً، من ضمنها سيارة على الريموت كونترول، أخرج السيارة وبدأ بتقليبها، نظر للمرأة وقال: «خالة معليش أخذها؟»، فقلت له: «إيه يا ابني هذي عيديتك وكل عام وإنت بخير»، فرح الطفل وخاطب السابق قائلاً : «خالص معلم، توكل على الله». يعقّب عبد العزيز: «المرأة كانت أمي والطفل ذنبه في عنق الأمير الذي زجّه في ذاك المكان»

من الفرات..إلى النيل

نور مارتيني

مرَّت المنطقة العربية بمخاضاتٍ عدّة خلال السنوات العشر الأخيرة المُنصرمة، التي أعقبتْ الاحتلال الأمريكي للعراق، هذه المخاضات أدّت إلى ولادةِ كياناتٍ على الأرض لم تكن موجودة من قبل، وكذلك أفرزت تيارات سياسيّة وثقافية وفكرية، لا تنتمي إلى ثقافة مجتمعنا في شيء، إلاّ أنّ عواملَ كثيرة أسهمتْ في ترسيخ كلّ ما سبق، كان أهمّها التدخّلات الإقليمية، وما تبعها من ضخّ إعلاميٍّ رهيب، ونشر فكر راديكالي بالغ في الغلوّ في كل شيء، كل هذا أفضى إلى حالةٍ من الديماغوجية، أدّت إلى تكريس الشّرخ الحاصل في المجتمع.

ولاعتبار مرحلة ما بعد الحرب على العراق عنواناً عريضاً لهذه المرحلة أسبابٌ واضحة لايمكن تجاهلها، فالحرب الأمريكية على العراق هتكت كل الحجب، وكشفَتْ الزّيف والنفاق الاجتماعي الذي يعيشهُ العالم العربي، الذي اتّضح أنّه كان يقبع على صفيح ساخن، إذ أنه وإبّانَ الحرب الأمريكية على العراق راحت تتصاعد الكثير من الدعواتِ إلى نصرةِ العراق ضدَّ الاحتلال الأمريكي، هذه الدعوة التي كانت مشروعة تماماً فيما لو ظلّت تنتهجُ النهجَ نفسه الذي خرجت من أجله.

إلاّ أنّهذه الدعوة سرعانَ ما تحوّلت إلى «نصرة المجاهد صدّام حسين» وهي أوّلُ الغيث، وبداية زجّ المفهوم الطائفي، فكلمة«المجاهد»كانت لها دلالاتها الطائفيّة التي تُشير إلى«المذهب السني»الذي ينتمي إليه صدّام حسين، وفي الوقت ذاته تكفير كل من لا يؤيده، فضلاً عن المعسكرات التي افتُتحتْ على الأراضي السورية لإعدادِ المقاتلين، قبل إدخالهم إلى العراق، الأمرُ الذي اتّضح فيما بعد أنه لايمكن النظر إليه ببراءة، وأنّ ما حصلَ كان فعلاً من أجلِنُصرة العراق، والغريب في ذلك أن بشار الأسد محافظ«المحافظة الإيرانية الخامسة والثلاثين»اليوم–بحسب رجل الدين الإيراني«مهدي طالب»-هو من أوعز بفتح الحدودالتي شهدت تدفّق مجاهدين من كلّ أنحاءِ العالم وليس سوريا وحدها، فكيف له أن يخدمَ المشروع«السني»الذي كان«صدّام حسين»يمثّله؟

ومع ذلك بقي النّاس خارجَ هذهِ اللعبة، وظلّوا ملتزمين بما خرجوا من أجله، وهو نصرة الشعب العراقي، ولم ينحدروا بمطالبهم من الحرية إلى الانكفاءِ نحوَ الطائفةِ بمفهومها الضيّق، غير أن العائدينَ من جحيم العراق عادوا ليقصوا علينا أهوالَ مالقوه من«الحواجز الشيعية»التي ضربتهم غيلةً –من خلف ظهورهم-والغريب أن كثراً ممّن راحوا يروّجونلهذه الرواية هم ممن يلوذون بالأجهزة الأمنية في سوريا، لدرجةِ أنّ واحداً من المحاضرين الّذين جيء بهم إلى اتحاد الكتّاب العرب في مدينتي إدلب قد طرَحَ الموضوع بهذا الشكل، ويومَها قامتْ قائمة الحضور عليه ولم تقعُد حولَ هذه المفاهيم التي طُرحتْ

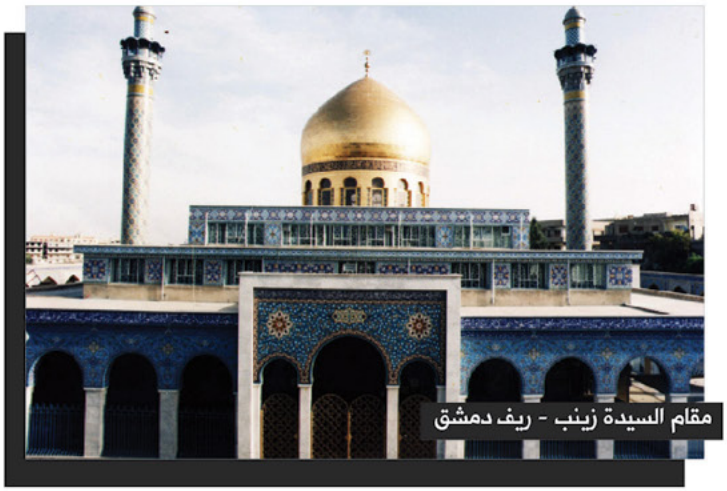

مقام السيدة زينب - ريف دمشق

في المحاضرة، والغريبة عن تركيبة مجتمعنا الفكرية جملةً وتفصيلاً، فهل يُعقل أن يأتي محاضر إلى «اتحاد الكتّاب العرب»، في عهد كان فيه«علي عقلة عرسان»أميناً عاماً للاتحاد، دونما توجيهاتٍ أمنية من نوع معين؟.

اللعبةُ ذاتها بدأت في سوريا، حين أُعلنَ في أواخر عام ٢٠١١عن تشكيل ما سُميَ بـ«الجبهة الإسلامية لنصرةِ أهلِ الشام «بزعامة«الفاتح أبي محمد الجولاني»، والتي أحدثتْ تغييراً كليّاً في مُجريات الثورة السورية، حيث أن النظام لطالما حاول أن يلعب على الوتر الطائفي، والبعد التكفيري للثورة السورية، بُغيةَ ترهيبِ الأقلياتِ واستجلابِ تضامنهم معه، خاصةً من خلال وصفه لمن تمرّدوا ضده «بالتكفيريين»، والسلفيين الوهابيين»، الأمر الذي لم يُؤتِ أُكله، ولم يؤثر في موقفهم منها، حتى أن أشخاصاً كثيرين ممَّن يُعرفونَ بانتماءاتهم اليسارية، أيّدوا الثورة، بل وهنالك منهم من خرج في مظاهراتٍ مُنطلقةٍ من المساجد.

فجاءَ بيانُ تشكيل الجبهة ليقلبَ المقولةَ كلها، ولتصبح هويَّة الثورة هي «نُصرة المسلمين»، كبديلٍ عن «سوريا بدها حرية»، حيث وردَ في بيان الجولاني «فعلى كلِّ حرٍ أبيٍّ أن يتَّخِذَ سِلاحاً يدفعُ بهِ عن نفسِهِ وعرضِهِ الخطر، ولو كلّفَهُ ذلِكَ أن يبيعَ أثاثَ منزِلِهِ، فالدين والدم أغلى وأولى يا أهلَ المروءات.»، ولم يعد هنالك أولويةٌ للوطن، صارت الأولوية للطائفة، ثم للدم!

غير أنّنا ما زلنا في إطار«الشام»، أي أنَّ البعد القومي والانتماء للوطن لا يزالان قائمين، ولذلك كان المشروع ما يزال يحملُ البعد الوطني، على الأقل من خلال قيادات سورية، وإن كانت تحت مسمىً «إسلامي»!.

أعقبَ هذا البيان حملة استنكارٍ دوليٍّ لكلِّ ما جرى ويجري، وفي الحقيقة أنَّ الضخّ الإعلامي كانَ هائلاً تجاه ممارسات«جبهة النصرة»، ولكن مع ذلك لم يحدث هذا الضخ الإعلامي سواء من قبل النظام، أو وسائل الإعلام العالميّة في تأليبِ الرأي العام ضدَّ الثورة السورية. إلى أن جاء بيان «أبو بكر البغدادي»حولتوحيد«دولة العراق الإسلامية» و «جبهة النصرة»، الأمر الذي بلور التوجُّه الطائفي، فالبيان أشار إلى«دمج فرع التنظيم جبهة النصرة مع دولة العراق الإسلامية تحت مسمى

الدولة الإسلاميّة في العراق والشام، وطبعاً دولة العراق الإسلامية، كانت قد تشكّلت إبّانَ مقتل «أبي مصعب الزرقاوي»في العراق عام ٢٠٠٦ إذاً، فالطابع الطائفي باتَ ظاهراً للعيان، وهو دمجُ الكيانين، ليعبّرا عن «المكوّن السُني» أيّاً كانت جنسيته!

يأتي بعد ذلك مؤتمر القاهرة للعلماءِ المسلمين في شهر حزيران ٢٠١٣، والذي أطلقَ الحبلَ على الغاربِ لكلّ الأجندات،وجعلَ من سوريا مَسرحاً لكلّ تصفيات الحسابات على كافةِ الأصعدة الدولية، حيث وردَ في البيان الختامي:«اعتبار ما يجرى فى أرض الشّام من عدوانٍ سافرٍ من النظام الإيرانى وحزب الله وحُلفائهم الطائفيين على أهلنا فى سوريا يُعدُّ حرباً معلَنةً على الإسلام والمسلمين عامة».

من الممكن تناولُ الموضوعِ ببراءةٍ، وأنَّ هذا الموقف جاءَ غيرةً مِن عُلماء الدِّين على السوريين، ولكن حين تقرأ تصريح العُريفي بهذا الخصوص، حيث يقول الداعية السعودي محمد العريفي للجزيرة أن «الوثائق المرئيَّة والمكتوبة التي عُرضتْ تُفيد بأنَّ من أسماهم الرافضة الصفويين لن يكتفوا بسوريا، بل سيلتفتون إلى مصر ودول الخليج ومكّة والمدينة».

فالبعدُ الطّائفي، وتصفية الحسابات طُرحتْ وبشكلٍ سافرٍ في المؤتمر، ما يُذكّرنا بالمعسكراتِ التي أقامها بشار الأسد لتدريب المجاهدين للذهاب إلى العراق ومن بعدها أصبحَ معظم من ذهبوا نُزلاء في «صيدنايا»، وللأمانة فقد كان«العُريفي»هو أوّل نزلاء السجن في السعودية، على خلفية تصريحاته هذه!.

لقد ساهم نظام بشار الأسد في تقسيم العراق، كما ساهمَ مؤتمرُ القاهرة اليوم في تحقيق المشروع ذاته في سوريا من خلال «تنظيم دولة الخلافة الإسلامية في العراق والشام»، ولكنَّ أهمّ ما أسفر عنه هذا المؤتمر هو أمران: أوّلهما ما أعقب سقوط القصير من تصريحاتٍ لحزبِ الله أعلنَ فيها وبشكلٍ سافرٍ عن«تأدية الواجب الجهادي في سوريا»لحماية» مقام السيدة زينب» والذي على ما يبدو متواجد في كل شبرٍ من سوريا! وثانيهما، فتح سوريا أمامَ العالم بأسرهِ ومجيء «المجاهدين»من كلّ حَدبٍ وصوب لإقامةِ«الإمارة الإسلامية»على أرضها، فكثُرتْ الاختراقات، وأشهرت الفصائل العسكرية السِّلاح ضدَّ بعضها بدلاً من النظام، وراحَ صوتُ الثورة يخفت بفعل اختطاف الإعلاميين والناشطين السلميين.

لم يكن كلّ هذا ليتحقق لولا الخطاب الإعلامي الناري الذي امتدَّ خلال سنوات طِوال أعقبتْ الحرب على العراق، فبتنا نشاهدُ قنوات تكفّر الشيعة وتظهر فتاوى ما أنـزل الله بها من سلطان، يقابلها قنوات تُسيء إلى الصحابة، وتنشر فتاوى تُثير حَفيظةَ المُكوّن السُني، فولدت«صفا» و«وصال» ليقابلها«الكوثر»و«الأنوار»، حتى أنّ الخطاب امتدَّ ليشمل الأطفال، فـ«طيور الجنة» و«كراميش»، تقابلها «طه» و«الهدهد». كل هذا ليتسنى لإسرائيل تحقيق شعارها«من الفرات إلى النيل»ولكن بيدنا، لابيد عَمرو!.

البغدادي .. الشخصية الأكثر جدليةً

مرهف دويدري

منذ أُعلن التحالف مع «جبهة النصرة»لأهل الشام في ما يسمى «الدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق»، استطاع أبو بكر البغدادي أن يقنع الجماعات الإسلامية المقاتلة في سوريةبضرورة مبايعة الأمير لإنشاء دولةٍإسلامية، يكون مبدأ الخلافة أساساً لها، ومبايعته أميراً للمؤمنين في هذه الدولة، مستنداً إلى الحديث الشريف: (من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتةً جاهلية)، وبدأت المبايعات تنهال على تنصيبه أميراً للمؤمنين في الدولة التي بدأت تتمدد في الشمال السوري.

أبو بكر البغدادي.. من هو؟؟

أجمعت المصادر التي تحدثت عن أبي بكر البغدادي،أمير الدولة الإسلامية في العراق والشام على أنه مواطنٌ عراقي من مدينة سامراء، واسمه الحقيقي «عواد بن إبراهيم بن عواد البدري»، الذي يرجعه فيها بعض مريديه إلى عشيرة السادة الأشراف البدريين الرضوية الحسينية الهاشمية القرشية، وهو ابن الـ ٣٣ سنة يُكنّى بالكرار، وأحياناًأخرى بـ«أبي دعاء»، عمل أستاذاً ومعلماً وتربوياً سابقاً. وهو داعية معروف، وأحد خريجي الجامعة الإسلامية في بغداد، ودرس فيها مراحله الدراسية كاملةً حتى حصل على شهادة الدكتوراة،عُرف أنه داعية، وضليع بالثقافة الإسلامية، والعلم والفقة الشرعي، ولديه اطلاعٌ واسعٌ في علوم التاريخ والأنساب الشريفة.

في عام ٢٠١٠ نُصّب أميراً على الدولة الإسلامية في العراق،ومنذ توليه نفّذ هجمات عديدة حصدت أرواح الآلاف من العراقيين المدنيين والعسكريين، أشهرها مسجد «أم القرى» في بغداد، وهجمات انتقامية بعد مقتل أسامة بن لادن، تخطت المائة، وصُنفت بالنوعية. إلا أن هنالك مصادر أخرى رجّحت أنه شابّ عراقي، يعمل مزارعاً،وأنه منظّم جداً، ويهتم بأدق التفاصيل للعمليات التي تقوم بها القاعدة، كما يشير الصحفي أنطوني لويد.

علاقات متناقضة

دعا منظّر التيارات الجهادية الأردني عصام البرقاوي، الشهير بـ «أبو محمد المقدسي» من سجنه في الأردن المقاتلين السنة في سورية إلى التروي في مبايعة أبو بكر البغدادي أميراً لما يسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، وقد رفض الداعية عمر عثمان _المعروف ب «أبو قتادة «، و هو أردني من أصل فلسطيني_ مبايعة أبو بكر البغدادي أميراً للدولة الإسلامية في الشام والعراق، وبرّر رفضه بالانحياز إلى الرسالة التي وجهها زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري على فك الارتباط بين الدولة الإسلامية في العراق، وجبهة النصرة لأهل الشام،حيث تمثل الأخيرة الذراع الشرعية للقاعدة في الشام، إلا أنالبغدادي رفض رسالة أيمن الظواهري، وقال أن ما جاء فيها يخالف أمر الله، معتمداً

على تغليب أمر الله على كلام الأمير، وقال أن«دولة الإسلام في الشام والعراق باقية ما دام فينا عرقٌ ينبض، ولن يتوقف الزحف حتى دقّ آخر مسمار في نعش اتفاقية سايكس-بيكو»، على حد تعبيره.

من جهةٍ أخرى، يعرض أنطوني لويد، مراسل صحيفة «التايمز» في مقال له في ذات الصحيفة بعنوان «الحرب في سوريا أحيت القاعدة في العراق»،فيقول:«إن القوات الأمريكية ساعدت بطريقةٍ غير مباشرة على خلق أهم قائدٍ ينتمي للقاعدة في منطقة الشرق الأوسط، وذلك عندما سجنت إبراهيم عوض إبراهيم علي البدري _وهو شاب عراقي مـزراع سني ويبلغ من العمر ٣٣ سنة_مع سجناء ينتمون إلى القاعدة، كان ذلك من أحد الأسباب الرئيسية لتحوّله السريع من سلفيّ إلى راديكالي». ويعرض لويد معلوماتٍ لم يذكر مصدرها أو صدقيتها، حيث يقول:«البغدادي كوّن مع الضابط السابق في الجيش العراقي أبو عبد الرحمن البلاوي أضخم الجماعات التابعة للقاعدة، منذ تأسيس طالبان في أفغانستان في عام ٢٠٠١ ، مضيفاً أن نشاطات هذه المنظمة توقفت في عام ٢٠١٠، بسبب الوجود العسكري الأمريكي في العراق، إلا أنها تجددت بعد ثلاث سنوات جراء الصراع الدائر في سوريا الذي أرخى بظلاله على المنطقة، كما استقطبت هذه المنظمة آلافًا من الأعضاء الجدد، وأطلقت على نفسها اسم الدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام).

البـغـدادي وفـق رؤيـة الـنـظـام

في مقالٍ نشره الصحفي نـزار نيوف _الذي يدّعي أنه معارض سوري_ في موقع الحقيقة الذي يملكه،ويسرّب معلومات تكاد تكون الأولى من نوعها سنجد طرحاً آخر، ففي ٢٣ / ٦ / ٢٠١٣ أي قبل شهرين من مجزرة الكيماوي في الغوطتين، كتب نيوف مقالاً، جاء عنوانه (مصدر بريطاني «أبو بكر البغدادي» في تركيا لاستلام مساعدات تركية من بينها أسلحة كيميائية)، ويؤكد نيوف الذي يعتبر من المقربين للنظام في محاربته للثورة (أكّد مصدر بريطاني واسع الاطلاع أن زعيم«دولة العراق والشام الإسلامية»، أبو بكر البغدادي «ابراهيم عواد السامرائي» وهذا اسمه الحقيقي، موجود الآن في تركيا للحصول على أسلحة وذخائر ومعدات عسكرية نوعية، من بينها «أسلحة كيميائية»)،وهذا ما يبرر اتهام روسيا والنظام لجماعاتٍ جهادية في مجزرة الكيماوي.

الـبـغـدادي إلى الإمـارة

خاض معارك عديدة، وأسس جماعات، وساهم في إنشائها ودعمها، ثم انضم لمجلس شورى المجاهدين ودولة العراق الإسلامية، وعمل كعضوٍ في مجلس الشورى،إلى أن أصبح _وفق الإعلان الرسمي للدولة_بتاريخ ١٦ /٥/ ٢٠١٠ أميراً للدولة الإسلامية في العراق،وكانت بداية عمله مع عددٍ من رفاقه على إنشاء جماعة جيش أهل السنة والجماعة التي نشطت، وعلى وجه الخصوص، في محافظات

إحدى تشكيلات الدولة الاسلامية في العراق والشام

(ديالى، سامراء، وبغداد) وتولّيه للهيئة الشرعية بها حين تسلّم موقع أمير القسم الشرعي لهذه الجماعة،ثم أمير جماعة جيش أهل السنة والجماعة، والتي بايعت وانضمت لمجلس شورى المجاهدين بعد تأسيسه بأسبوع تقريباً، ومن ثم انضم ابراهيم البدري أو «أبو دعاء» إلى الهيئات الشرعية في المجلس، وأصبح عضواً في مجلس الشورى، وحتى إعلان الدولة الإسلامية في العراق، وتسلّمه مهمة المشرف العام على الهيئات الشرعية للولايات، وعضويته في مجلس شورى الدولة الإسلامية في العراق، فضلاً عن دوره الواضح والمؤثر في انضمام جزءٍ من عشائر سامراء لمبايعة أبو عمر البغدادي، مؤسس الدولة، ومساهمته في ضمّ عشيرته وشباب عشيرته في ديالى لمبايعة الدولة، ومع مرور عدة سنوات كان منطقياً أن يحضّره ويجهزه أبو عمر البغدادي الحسيني القرشي (حامد داود) لخلافته.

وهذا لاشك فيه أبداً، فأمثال أبو عمر البغدادي، وبحسّه الأمني العالي جداً، ووضعه لحساباتٍ وتوقّع كل الاحتمالات أدت إلى أن يوصى بأن يكون الدكتور (أبو دعاء)، هو من يخلفه إلى أن بويع أميراً على الدولة الإسلامية في العراق عام ٢٠١٠.

البـغـدادي أكـثـر الـشـخـصـيـات نـفـوذاً في الـعـام ٢٠١٣

لم تُحط شخصية بهذا القدر من الغموض، بقدر ما أحيط بشخصية البغدادي الذي استطاع أن يكون الشخصية الأبرز، والأكثر تأثيراً ونفوذاً في عام ٢٠١٣، حسب صحيفة الإندبندنت البريطانية، التي بررت رأيها هذا بقولها: «وضع (أبو بكر البغدادي) كزعيم نافذ، هو أنه يقود جماعة من المفترض أن تنتهي منذ ثلاث سنوات،إلاأنهاأصبحت أقوى من ذي قبل، في المثلث من الأراضي الواقع في العراق وسوريا بين الموصل وبغداد وساحل الأبيض المتوسط».

وكانت الحكومة الأمريكية قد خصصت مبلغ ١٠ ملايين دولار كجائزةٍ لمن يساعد في القبض على أبي بكر البغدادي،أمير الدولة الإسلامية في العراق والشام، إلا أن رصد مبلغ بهذه الضخامة يعيد إلى الذاكرة سيرة الملا عمر، الذي لم يتمكن أحد من التعرف إليه حتى اليوم، مع العلم أنه كان شريك «أسامة بن لادن» في تأسيس القاعدة، والذي كان دائم الظهور إعلامياً!

السلم الأهلي.. ممارسة حياتية

أسامة أحمد

يُقدّم السَلْم الأهلي،غالباً، على أنها عمليةُ عيش مشترك بين الناس في دولةٍ ما،وهذا ليس بعيداً عن الصحة ولا مُجافياً للصواب، لكنّه فضلاً عن ما يحمله من تبسيط، يُثير مشكلتين، أوّلهما تحويل السلم الأهلي إلى شعار، يمتلئ كغيره من الشعارات بمضامينَ أيديولوجية، وبشحنةٍ من العاطفة تُخرج الموضوعَ من مَيدان الممارسة الفكريّة والعمليّة إلى ميدان المماحكات اللفظيّة والتسويقيّة. والثانية صرفُ النظر عن حقيقة أن السّلم الأهلي عمليّة تاريخيّة، صيرورة تقدّم في التاريخ والمعرفة والممارسة الحياتيّة إلى نقطةٍ مركزيّة، هي تلبية حاجات أفراد المجتمع المعيشية والاجتماعية والسياسية. من المعروف بأن أكثر الدول أمناً واستقراراً هي التي تستطيع أن تلبّي حاجات أفرادها على مختلف الأصعدة، وتتيح لهم الحقّ بإنتاج شروط حياتهم بحُريّة، لا إنتاج أنماط من المجموعات البشريّة المُترامية على أطراف الدولة المركزيّة وإصباغ طعم المرارة على هويات أفرادها التي تشكّل الهويّة الجامعة لهذه الدول. إن مجتمعاً بُثّت فيه شحنات من الكراهية والحقد والتّفرقة عبرَ عقودٍ من الزمن، وافتعلت وأُنتجت أزماتٌ بين أبنائه يحتاج إلى ممارسةٍ حياتيةٍ يومية بين مكوّنات هذا المجتمع. بعيداً عن شعاراتٍ تحت مسميّات«توعية– نشر»ثقافة السلم الأهلي، فالثقافة تنتجها الممارسة وليسَ العكس، ولا يمكن أن تنشأ ممارسة حياتية دونَ حلٍّ عادلٍ ومنظومةٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ حرّة تكفلُ حقوق كلّ البشر بغضّ النَّظر عن انتمائهم،أما الثقافة فستنشأ وتتطور تلقائياً وبالتوازي مع الممارسة،مبدأ«التوعية»هذا هو مبدأ نرجسي استعلائي على المجتمع. إن أخطرَ ما يُهدّدُ السلم الأهلي في سوريا هو التعميم والتنميط بين أفرادِ المجتمع وبناء الحياة السياسية عليها،هو نِتاجُ صراعاتٍ تلبَس أقنعة هوياتية مفتعلة، بينما هي صراعاتٌ على النفوذ والوجود بين مراكز قوى وزعامات دينيّة وقوميّة وعشائرية، هي صراعات تُجنّد فيها الهويّة لصالح مراكز معيّنة وليس لصالح حاجات أفراد الهويّة أو المكوّن. عمليّة التحوّل والانتقال الجارية الآن في سوريا، وتنامي العنف واشتداد وطأة التبعيّة والاستغلال،أنتجت ازدياد حدّة التناقضات وإخفاق المعارضة في إنتاج ممارسةٍ عمليّةٍ لتحقيق السّلم الأهلي، فأغلب التجمّعات المعارضة السورية أُسّست على مبدأ المُحاصصة القومية والدينيّة، فلم تستطع أن تنتج هويةً وطنيةً جامعة، على العكس، فقد ازداد منسوب التنميط ونَتَجتْ ردّات فعلٍ لا أكثر، ولم ينجح مبدأ المُحاصصة في تجاربَ إقليميّةٍ كما في لبنان والعراق في ضمان السّلم الأهلي بين أفراد هذه المجتمعات، بل زادت من انحسار وانكماش الأفراد في دوائرِ هذه الزعامات وتحت سطوتهم وسيطرتهم، وتهميش البُعد الوطنيّ ومقوّمات الدولة على محيطِ هذه الدوائر، فتشكّلت في هذه الدول اقتصادات شبه مستقلّة وميليشيات أشبه بجيوشٍ داخل الدّولة بل أبعد من ذلك، فالهويّات التي أُهدرت آمالها وقُمعت حقوقها على مرّ عقود من الممارسات اللاعقلانية، لجأت رغماً عنها إلى وسائل التعصّب القوميّ والدّيني بمختلفِ أشكالها وهيَ جميعها ردود فعل تكشف عجزها عن التّخلص من الموروث القمعيّ عن طريق إنتاج علاقاتٍ وممارساتٍ علميةٍ وفكرية. إنّ تحوّل عمليّة الانتقال في سوريا إلى عملية سلبية وحركة ارتداد، تقودها جماعاتٌ دينيةٌ وقوميةٌ تخدم مصالح وأهداف مراكز قوى،لم تؤدي في نهايةِ المطاف إلا إلى الحفاظ على البنى والعلاقات والأوضاع التي كانت سائدةً قبل البدء بعملية التحوّل والانتقال، فلم تنفجر في سوريا حربٌ أهليةٌ بعد.إنما هي جملة من الصراعات بين هذه المراكز تُغذّي الصّراع الرئيسي في سوريا والذي بدوره أصبحَ صراعاً إقليمياً ودولياً. إن الممارسة الحياتية بين أفراد المجتمع في سوريا بجميع مكوّناته وإنتاج صيغ وأشكالٍ جديدةٍ من آليات العيش المشترك هي الضّامن للسلم الأهلي في مجتمع يزخرُ بهويّات دينية وقومية عديدة، وبالتأكيد الممارسة الحياتية لا تعني إلغاءه أو اندماج وصهر هذه الهويات، بل على العكس، تعني إلغاء الحواجز التي تحولُ دون تواصلها وتفاعلها وتوحيدِ الجهود في سبيلِ تطوُّر مجتمعاتها، من خلال التركيز على الجوانب الإيجابية، وكشف علاقات وروابط جديدة، وإبراز الدور الريادي للفرد، بما أن هذه الهويات والمكوّنات تعيش جميعها في وطنٍ واحدٍ، وبالتالي لها مصلحة مشتركة في مواجهةِ نفس التحديات، كتقبل الآخر كما هو–ليس كما أريده أنا–مثالاً، فالممارسة العمليّة والفكريّة في نفي الآخر وعدم قبول الرأي المُعارض نشأتْ عنها انقساماتٌ عاموديةٌ في المجتمع سَدّتْ قنوات التواصل والحوار الخلّاق، وحَرَمتْ المجتمع السوري من إمكانية استثمار أفضليّة التعددية القومية والدينية والإثنية في التطوّر والتقدّم.

مـــــرض شـــلـــل الأطـــفـــال

الدكتور سامر العمري

في الوقت الذي يحتفل فيه العالم بالقضاء على بعض الأمراض نهائياً والحصانة منها بشكل كامل، نجد أن هذه الأمراض أصبحت تشكل تهديداً حقيقياً لأطفالنا، إذ نراها وقد عاودت للظهور في سوريا نتيجةً للأوضاع الراهنة، مع أن الوقاية منها سهلة وبسيطة جدا.

على رأس هذه الأمراض «شلل الأطفال» فماهو هذا المرض وكيف يمكن الوقاية منه؟

شلل الأطفال :

مرضٌ فيروسيّ معدٍ، تتراوح شدّته من عدوى بسيطة إلى مرض حاد، حيث يبدأ بحالةٍ عامة سيئة للطفل تشبه الإصابة بالإنفلونزا،يليها شللٌ رخويّ لبعض أطراف الجسم، وبصفة خاصة الأطراف السفلية عند الأطفال، ويكثر انتشاره في فصلي الربيع والصيف وحتى نهاية الخريف.

ينتشرشلل الأطفال في عدد كبير من بلدان العالم، وبصفة خاصة في الدول النامية وأماكن النزوح، مخيمات اللاجئين وخاصةً تلك التي لا يتم فيها تصريفٌ صحي بشكل سليم، بمعدلات متفاوتة تبعاً لمعدّل التغطية بالتطعيمات اللّازمة في الأوقات المناسبة والإصحاح الأساس للبيئة، وتحدث غالبية الإصابات(٩٠ ٪) منها، بين الأطفال دون سن الخامسة مع العلم أن إصابة البالغين الغير ملقّحين ممكنة، ولكن في حالات نادرة.

الفيروس المسبب للمرض:

فيروس شلل الأطفال، Virus Polio ،وهو فيروس معوي له ثلاثة أنماط ، وجميعها قد تسبب الشلل، ولكن النمط(A) هو أكثرها انتشاراً وإحداثاً للشلل، كما أنه يتسبب في غالبية الأوبئة، ولا توجد مناعة تبادلية بين الأنماط الثلاثة.

مصادر العدوى :

الإنسان المريض أوحامل الفيروس، وهما المستودع الوحيد للعدوى، وتنتقل العدوى عبر الطريق الفموي البرازي أوالطريق التنفسي للمخالطين عبر الرذاذ المتطاير، وهنا تبرز أهمية وجود صرف صحي والتخلص من الفضلات بشكل سليم ومع كل ظهور لحالة من المرض الشللي يُتوقع وجود حوالي مائة حالة لا شلليّة غير مسجلة، وتُشير هذه الحقيقة إلى أن مستودع العدوى كبير جداً.

قابلية العدوى:

الطفل الذي لم يتم تطعيمه أو لم يسبق له الإصابة بالمرض أكثر عرضةً للعدوى سواء نتج عنها شلل أم لا، والمناعة المكتسبة بعد العدوى الطبيعية أو التطعيم بالجرعات الكاملة، تبقى مدى الحياة مع إمكانية العدوى بنسب ضئيلة جداً للبالغين.

الأعراض والعلامات: إن فترة الحضانة لهذا المرض تتراوح بين ٤-٤١ يوم، وعند انتقال العدوى للطفل، فهناك ثلاثة مراحل المرض وهي:

المرحلة الأولى: أن يصل الفيروس إلى الحلق ثم الحنجرة ويتوقف عندها، ولا تظهر الأعراض على المصاب، وهذا هو الإحتمال الأكثر حدوثاً،ويرجع ذلك لعدّة أسباب منها: المناعة الطبيعية للطفل، أوالمناعة لإصابة سابقة بالفيروس أو التطعيم باللقاح المضاد.

المرحلة الثانية: أن يتعدّى الفيروس الحنجرة إلى الجهاز الهضمي، ومن ثم إلى الدم ويتوقف عند هذا الحد، بسبب المناعة الطبيعية ووجود الأجسام المضادة التي تكونت نتيجة دخول الفيروس إلى الدم، وهنا يظهر على المصاب

بعض الأعـراض، مثل: ارتفاع درجة الحـرارة والقيء مع تصلب عضلات الرقبة والظهر، وتختفي هذه الأعراض بعد عدة أيام.

المرحلة الثالثة: أن يتسلل الفيروس إلى الجهاز العصبي، فيصيب الخلايا العصبية الحركية في النخاع الشوكي فيحدث فيها التلف، وينتج عن ذلك شلل رخوي في الأطراف خصوصا السفلية منها.

أعراض وعلامات المرحلة الثالثة: هي المرض الحاد-الشفاء-الشلل المتبقي.

وفي هذه الحالة يظهر ارتفاع في درجة الحرارة مصحوباً بصداع وآلام عامة مع غثيان وقيء، وقد يعاني الطفل المريض من تشنجات في العضلات، ويعقب ذلك مرحلة الشلل الذي يصيب غالباً الأطراف السفلية .

وفي الأسبوع الثالث من المرض تختفي الأعراض العامة ويتماثل المريض للشفاء، يليها ظهور الشلل المتبقي في العضلات المصابة الذي يتحول إلى الإعاقة الدائمة.

مضاعفات مرض شلل الأطفال:

أ-المضاعفات البدنية

تؤدي التشوهات التي تصاحب المرض إلى قصور في حركة المفاصل، الذي يبدأ أثناء المرحلة الحادة للمرض، فيشعر الطفل بآلام شديدة في العضلات أثناء تحرك الأطراف، فيساعده أفراد أسرته على الجلوس في الوضع المريح، وهي أوضاع تكون في الغالب ضارة بالطفل بسبب تقلص العضلات التي تثني الوركينوالركبتين، لذلك في حالة المرض الحاد يجب أن يوضع الطفل المصاب لبعض الوقت يوميا في أوضاع يراعى فيها انبساط الوركين والركبتين، مع المتابعة بالعلاج الطبيعي.

ب- المضاعفات الاجتماعية

القيود التي تفرضها الأسرة والمجتمع على الطفل وأنشطته قد تمنع الطفل المصاب من ممارسة الأنشطة التي يمكن القيام بها مثل:

الحاجة إلى التعليم مثل باقي الأطفال الأصحاء، مع كسر الحاجز النفسي وإعطائه فرصة الاحتكاك بباقي أفراد المجتمع واكتساب الخبرة من الحياة، وتسهيل طرق التنقل وممارسة الحياة الطبيعية.

الـــــعـــلاج:

مرض شلل الأطفال من الأمراض التي لا يوجد لها علاج نوعي محدد حتى الآن للأسف، والسبيل الوحيد للوقاية منه التطعيم والعناية بالصحة العامة

وفي حال حصول الشلل تقتصر الاجراءات على بعض المعالجة الفيزيائية للأطراف للحد من تصلب العضلات وتشنجها، كما يمكن إعطاء الطفل المصاب (غما غلوبيولين)، وهو مضاد مناعي فيروسي مع بعض العلاجات العرضية البسيطة كخافضات الحرارة ومسكنات الألم

ويتم تأكيد تشخيص المرض عن طريق فحص البراز، وذلك بأخذ عينتين من البراز بفارق زمني ٤٢ ساعة بعد أقل من ٥١ يوم من حدوث المرض.

الإجراءات الوقائية:

-التبليغ الفوري عند اكتشاف الحالة وعزلها في المشفى، مع إعطاء العلاج اللازم.

-التطهير المستمر لإفرازات ومتعلقات المريض.

-حصر المخالطين المباشرين مع إعطائهم العلاج الوقائي (الغما غلوبيولين) عن طريق الحقن، مع إعطائهم جرعة منشطة من تطعيم الشلل الفموي للأطفال دون الخمس سنوات، والمتابعة لاكتشاف أي حالات أخرى.

التطعيم

ويوجد له أربعة أنواع

١- التطعيمات الأساسية: وهي خمس جرعات على النحو التالي:

-الأولى عند عمر شهرين من تاريخ الولادة.

-الثانية عند عمر أربعة أشهر.

-الثالثة عند عمر ستة أشهر.

-وجرعتان تنشيطيتان، الأولى: عند عمر سنة ونصف، والثانية: عند عمر أربع سنوات وحتى دخول المدرسة.

٢-التطعيمات الاحتوائية: وهي تطعيمات وقائية ضد العدوى في حالة الاشتباه في وجود حالة مرضية، حيث يتم إعطاء جميع الأطفال دون سن الخامسة في منطقة وقوع الحالة المرضية جرعتين من التطعيم بفاصل شهر بينهما، بغض النظر عن سابقة التطعيم.

٣-التطعيم الاجتثاثي: وهو يتم في المناطق المعرضة لخطر ظهور حالات مرضية، أو الأماكن منخفضة التغطية بالتطعيم، وبذلك يتم القضاء على فيروس شلل الأطفال من البيئة، ويتم التطعيم بنفس الطريقة السابقة.

٤-حملات التطعيم الوطنية: وهي حملات وطنية على مستوى الأقطار، وهدفها القضاء على فيروس شلل الأطفال من البيئة في زمن محدد، ورفع مستوى المناعة ضد الفيروس، ويتم التطعيم بنفس الطريقة السابقة لجميع الأطفال دون سن الخمس سنوات بغض النظر عن سابقة التطعيم.

الجدير بالذكر أنه يوجد نوعين من اللقاح، الأول عن طريق الفم، وهو فيروس حيّ مضعف، والثاني عن طريق الحقن العضلي، وهو فيروس مقتول، ويتم استخدام النوع الأول في أغلب الأحيان .

-أوقات الأوبئة: يجب التركيز على التوعية الصحية عن المرض، وطرق انتقاله، والوقاية منه مع تأجيل أية عمليات جراحية عادية، أو الحقن بالعضل، حيث إنها تساعد على تحويل الحالات تحت السريرية(غير الظاهرة) إلى حالات مرضية شللية، مع مراعاة النظافة العامة، وتحسين صحة البيئة، والابتعاد عن الأماكن المزدحمة، وضرورة رفع نسبة الكلور في مياه الشرب أثناء التنقية.

دور المجتمع في القضاء على المرض

تساهم البيئة المحيطة بالقضاء على هذا المرض وبصفة خاصة الأسرة والمدرسة إذ لهما دور أساس ومهم وذلك من خلال:

أ-التأكد من أن جميع الأطفال قد أكملوا الجرعات الأساسية والمنشطة طبقاً لجدول التطعيمات المعمول به والحرص على إعطائهم أية جرعات تنشيطية أخرى.

ب-التعاون مع الجهات الصحية المعنية عند تنفيذ الأنشطة الخاصة لاستئصال مرض شلل الأطفال بشكل نهائي.

ج-في حالة ظهور أعراض أو اشتباه في حالة مرض شلل الأطفال بالمنطقة، على أي طفل مصاب بارتفاع في درجة الحرارة أو قيء غير معروف السبب، يجب عرضه بأسرع وقت ممكن على الطبيب المختص لفحصه وتشخيص حالته.

مساء الخير يا بيروت وصباح الخير يا شام

راهيم حساوي

في الساعة الثامنة من مساء التاسع من نيسان ٢٠١٤ كان أهل الثقافة والفن والأدب على موعد مع حفل غنائي للفنانة والشاعرة عناية جابر في مسرح قصر الأونيسكو في بيروت، كان المكان قريباً مني، لا يحتاج مني أجرة تكسي، وهذا شيءٌ جميل ومن حسن حظي. وبينما أنا أسير نحو مكان الحفل بدأ الشيطان المختص بالعمليات الحسابية يأخذ دوره، جلس في رأسي كمُحاضر جامعي وهو يرتدي ربطة عنق ويجري لي عمليات حسابية، وكان يُنهي كل عملية حسابية بعبارة: «ثم لا تنسَ أنك نازحٌ وبلا عمل». تابعتُ مسيري نحو مكان الحفل، ووصلت وكان المشهد واضحاً: سيدات، آنسات، رجال، شباب، عجائز، سجائر، غلاوين، ضحكات، أحاديث، ثرثرة، رجل عجوز ببنطال أبيض وشعر طويل، شابة حليقة الشعر، وشابة بتنورة قصيرة من الطاقم المُنظم للحفل تحمل الأوراق وتتحرك في الصالة مثل جنرال، هكذا كان الناس على مدخل الصالة قبل بدء الحفل. نحن نحب الموسيقا والشعر والغناء، ونحب المسرح حيث الضوء الخافت، فالأشياء تبدو أجمل على خشبات المسرح، حتى العامل الذي يقوم بعملية إعادة ترتيب الخشبة بعد انتهاء الحفل يبدو أجمل من سواه. كان عليّ أنْ أعرف ثمن بطاقة الحفل دون مواجهة تلك الموظفة المسؤولة على بطاقات الدخول، وذلك كي لا يبدو الموقف محرجاً في حال أني رفضتُ الشراء، اقتربتُ من رجل كان يجري مكالمةً هاتفية وهو يُطالب التي يتحدث معها بالإسراع، وبدا متوتراً بعد إنهاء المكالمة، سألته عن ثمن بطاقة الدخول، قال إنه لا يعرف، فابنته هي التي اشترت البطاقات. وضعت سماعات هاتفي في أُذنيّ، وغادرت المكان وأنا أستمع لأغنية على إحدى محطات راديو هاتفي. يُقال إن الكاتب المسرحي جان جنيه كان يأخذ نقوداً من صاحب مسرح كأجرٍ مسبق عن نص يعمل على الانتهاء من كتابته قريباً، وكان مديرُ المسرح يعلم أنّ جان جنيه لم يكتب النص بعد وربما لن يكتبه، وكان جان جنيه يعرف أن مدير المسرح يعرف حقيقة الأمر، لكنهما كانا يفعلان هذا لأجل رفع القيمة، قيمة المسرح. ربما موضوع ثمن التذكرة ليس باهظاً كقيمة مادية في نظر العموم، ولكن القيمة ستبدو أكبر لو أنّ ثمن التذكرة كان بالمجان للسوريين الذين يعانون التعطش لمثل هكذا مناسبات، ثمن البطاقة لن يشكل مصيبةً كبيرة لهم، لكن المصيبة الضاربة في العمق تكمن في: (ماذا سيحدث لو كانت بطاقة الدخول مجاناً للسوريين؟) هذا السؤال بحد ذاته يجعل المواطن السوري يشعر بالأسى وهو يعيش غربته واغترابه في ظروفٍ لم يعد أحد يفهمها إلا السوريون أنفسهم، والأمر لم يعد ترفاً بقدر ما صار حاجةً مُلحّةً كي لا يفقد عقله في ظل الظروف التي تمر بها بلاده، وظل ظروفه النفسية المشحونة بالكثير من الخراب. المسألة لا تتعلق بهذا الحفل فحسب، بل تتعلق بمناسباتٍ كثيرة بهذا الصدد، فالأمر ليس سهلاً لو أخذنا هذه المناسبات على مدار الشهر أو الشهرين. على القائمين على الأدب والفن أن يُدركوا أن رسالة الأدب والفن لا تتعلق فقط بمضمون هذه الرسالة، بل يجب معرفة إدارة هذه الرسالة بدقة عالية، فالأغنية الجميلة لا تكفي، والمسرح الناجح لا يكفي، والكتاب المفيد لا يكفي عندما لا تصل هذه الاشياء للجميع بكافة الظروف، والمؤسسات التي لا تستطيع إدارة الفن والأدب كما يجب هي مؤسساتٌ فاشلة حتى لو كان الأدب والفن على قدرٍ جيد، كان من السهل أن يكون دخول السوريين بالمجان لهذا الحفل، وفي أسوء الظروف كان من الممكن تخفيض ثمن بطاقة الدخول للنصف كي لا يصبح الأمر الذي نتحدث به أمراً مادياً بحتاً، وكي يبدو الأمر معنوياً في حقيقة الحال، لو حدث هذا الأمرِ كان بمقدور السوري أن يدعو أحداً معه لم يسبق له أن حضر حفلاً غنائياً طوال ثلاث سنوات على الأقل، وبهذا يأخذ الفن والأدب قيمةً أخرى وبُعداً لا يقل عن أهمية البُعد المتضمن في الرسالة التي يحتويها كلٌ منهما.

عامل سوري في لبنان

عبود سعيد

عملَ أبو علي مُنذ نعومةِ أظفاره كطورنجي في ورشتنا، وكان يأخذُ في الجمعة (جمعية) خمسين ليرة بالإضافةِ إلى وجبةِ غداء هي عبارة عن صندويشة قد تكون فلافل أو عجّة أو لحم بعجين، ويحقُّ له أن يشربَ كازوزة أو كأس لبن، وكلّما زادتْ أيام الخدمة ازدادت (جمعيّة) أبو علي، فبعدَ خمس سنوات مثلاً أصبحت٦٠٠ ليرة، ثم التحق بالخدمةِ العسكرية واستغلَّ كلّ إجازاته القصيرة والطويلة في العملِ مقابلَ تقاضي مصروفهِ أثناءَ خدمةِ العلم، عملَ أبو علي ١٣ سنة في ورشتنا، وخلالَ هذه الفترة،كانت الشاشةُ التي يشاهدُ أبو علي من خلالها العالم هي ورشتنا وبيتنا، فتعلّمَ منها فنونَ الحدادة والطورنو، وكان يعرفُ آخر صيحاتِ الموضة من خلالِ ما يلبسهُ أخي يوسف، أما فنون الطبخ فمن الشّيف أختي التي أصبحتْ زوجته.

أُعجب أبو علي بأساليبِ حياةِ إخوتي، فتبنّاها وحافظَ على علاقته الأسريّة مع هذه العائلة التي تربّى عندها، ليس لأبو علي أصدقاء لذلك كان ينتظرُ عطلةَ يوم الجمعة ليزورنا، لم يتخلّف جمعةً واحدةً عن المجيء،وكان يستلم أمّي عادةً ويحكي لها إما عن العمل أو حكايةً مملّةً تنتهي بحكمةٍ مفروغ من أمرها مثل:«الدم ما يصير مَيّ».

تعلّم أبو علي من أخي يوسف عادةَ الاستماع إلى الأغاني العراقية فاشترى كلّ كاسيتات أغاني تلك المرحلة، وظلَّ يُكرر سماعها إلى يومنا هذا، ولا يقبل أي تجديدٍ أو تحديثٍ على مجموعته الموسيقية، كل ما لا يعرفه أبو علي بنظره غير مهم ولا داعٍ له.

كان يشتري ويرتدي الملابس الجميلة والأنيقة فقط ليلبسها عندما يزورنا، غيرَ فرش بيته تحسباً لزيارةٍ مباغتةٍ منّا، وعندما كان ينتظر زيارتنا كان يُحضّر المسجّلة والكاسيت ليضغطَ على زرّ التشغيل فورَ سماعه أصواتَ أقدامنا على الدرج، لم يكن أبو علي يشرب الكحول، لكنه يضعُ البيرة دائماً في البراد في فصلِ الصيف للفت انتباهنا.

لم يتوقف اكتساب الخبرة عند أبو علي، من منبعهِ الذي هو نحن، على أيام الورشة، فقد كان حريصاً على تتبع كلّ التحديثات في تفاصيل الحياة، ففي أيام العيدِ مثلاً كان أبو علي ينتظرنا أن نشتري حلويات العيد، ويطلب من أختي أن تتصلَ وتعرفَ بحيلةٍ وذكاء عن نوعية حلوياتنا ومستواها فيشتري أبو علي أغلى منها بقليل، وعندما قمنا بتركيب المكيّف في غرفةِ الجلوس استطاعَ أبو علي من خلال جهاز استخباراته المحترف أن يعرفَ استطاعة وقدرة المكيّف ومماركته، واشترى مكيّفاً من نفس الماركة وباستطاعةٍ أكبر، علماً أن غرفة الجلوس في بيته أصغر من صالوننا.

يهتم أبو علي بتفاصيل يومه بدقّة واعتناء، ساعات عمله، وقت القيلولة، وقت الغداء، هندامه، حتى عندما يعود إلى البيت لا يجلس إلاّ في غرفةِ الضّيوف وإن خلت من الضيوف، ولا يتحرك إلا بتاكسي. يمتازُ أبو علي بنظافة عمله، كل شيئ في ورشته مرتّب ومنظم، حتى اللباس موحّد، لديه طاقمٌ من العمال يترأسهم أخوه الأصغر منه، لا يعمل أبو علي بيديه إنما يُشرف على العمل ولا يتدخل إلاّ عندما يستعصي أمرٌما، وأحياناً أخرى يتدخل ترفاً، وعندما يُخطئ في العمل يؤنّب العامل الصغير الذي يقف عادةً إلى جانبه بانضباط مُستعداً للأوامر حاملاً بيده كلّ المعدات المتوقعة، فبمجرد أن تعصلّج شيئٌ ما في يد أبو علي، أكلَ الصبيُّ كفاً وبعض المسبات.

أبو علي لديه أربعة صبيان، لا يعرف عنهم شيئاً سوى أسماءهم، ويميّزهم من أشكالهم المختلفة ويوزّع عليهم الأوامر حسبَ أحجامهم، فمثلاً كلّما اشتهى الحمّص، علماً أنه يشتهي الحمّص كل يوم، أرسلَ الابن الأكبر حجماً لأن الطريق إلى مطعم الفول والحمُّص بعيدة، أما عندما يريد كازوزة من الدكان المجاورة لبيته فتكثر هنا الخيارات، ويختار عادةً المُتاح والأقرب من أبنائه، لا يعرف عنهم أي صفة، ولا يتابع أعمارهم، أو دراستهم أوهواياتهم، بالنسبة له هم أبناؤه فقط.

كان يحزُّ في نفس أبو علي أنه ليس مثقفاً كإخوتي وأن المواضيع التي يتحدثون فيها لا يعرف هو عنها شيئاً، فاضطر أبو علي لشراء صندوق المعلومات، وهو عبارة عن ورق كورق الشدة فيه أسئلة وأجوبة عن معلومات عامة مثل: من اخترع الطيارة؟ ما هي أعلى قمة جبل في العالم؟!.

واظبَ أبو علي على المطالعة والقراءة كل يوم بعد عودته من العمل، وكان حريصاً على متابعة وشراء كل نسخة جديدة من صندوق المعلومات، وكان يتململ أحياناً من تكرار بعض الأسئلة بين نسخة وأخرى. عرف أبو علي من فتح الأندلس، ومن اخترع المصباح الكهربائي وعدد عظام جسم الإنسان، وكان يناقشُ بهذه المعلومات أحيانا عمّال ورشته، فمرّة كان يُخبر أحدهم أن الأرض تدور ويرد العامل عليه:«يا معلم شلون تدور، لو تدور كنا صرنا بالطرف التاني»، فيتركه أبو علي غاضباً ويأتي لورشتنا يشتكي ويقول:«يا أخي نحنا مو مكانّا هين بين العمال والجهلة، شعب متخلف لسا ما يعرف أنو الأرض تدور!».

صار أبو علي يتجرأ على مشاركة إخوتي في نقاشاتهم، فعندما يتحدثون عن مانديلا وجنوب أفريقية يقطع أبو علي الحديث متدخّلاً: «أصلاً الكولا أصلها من شجرة أفريقية»، وبينما كنّا مرّة نتحدث عن الجمال وكان أخي يوسف يقول أن الجمال ليس له علاقة بالجغرافية والقومية والعرق، فلا يمكن أن تقول أن الإيطاليات مثلاً جميلات، استغل أبو علي أول لحظة صمت ليدلي بمعلومته حول إيطاليا: «على فكرة الشوارع في مدينة البندقية هي عبارة عن أنهار»، وانفرد مرّة بأختي ليحدّثها عن معلومته المفضلة الطويلة الوحيدة التي كان شرحها مرفقاً معها في صندوق المعلومات، «فاطمة، تعرفين منين جت لعبة كرة القدم؟ الطابة يعني» وبينما يشرح لها القصة عليها أن تبقي نظرها موجهاًإليه وإذا رفّت عينها يميناً أو شمالاً يقطع حديثه قائلا «فاطمة، دحجي عليّ» ويتابع.

وصلت ثقة أبو علي بنفسه حدّاً اقتنع فيه أنه معلم في كل شيء وفي كل مكان، حدثت مرة بينه وبين أخيه مشكلة وقرر ترك الورشة والذهاب للعمل في لبنان، فهو معلّم ويستطيع دائماً أن يبدأ من جديد، تدخّلنا في إقناعه لحل الخلاف وتقريب وجهات النظر علّه يعزف عن قراره، لكنه أصرَّ على رأيه وذهب إلى لبنان.

لم يكن أبو علي هناك سوى عامل سوري في لبنان، تعرّف على البحر الأبيض المتوسط، لكنه تفاجئ أن لونه أزرق، رأى لافتاتٍ كُتب عليها شكراً حمد، شربَ الكازوز في شارع الحمرا، ولبس البيجاما على شاطئ الروشة.

لم يقرأ أبو علي في صندوق المعلومات عن الطبقية، ولم يعرف ما هو الفرق بين الشيوعي والشيعي، كتبوا له في صندوق المعلومات عن اتفاقية سايكس بيكو لكنهم لم يحكوا له عن اتفاقية الطائف،أخبروه عن العوامل المشتركة بين البلدان العربية، عن اللُغة، عن التاريخ المشترك، الأهداف والآمال المشتركة، لكنهم لم يخبروه ماذا يعني أن تكون عاملاً سورياً في لبنان.

لم يُطل أبو علي الغياب، أسبوعٌ واحدٌ وعاد لأخيه وإلينا طالباً الصلح.

HAWA
SMART

إذاعة هوا سمارت
راديو الكل
العاصمة أون لاين
سوريالي

دمشق. حمص. حماه 103.2

حلب. ادلب. اللاذقية. دير الزور 99.6

من الساعة

6 الصبح - 12 مساءً

الليرة السورية من الولادة إلى الطعن في الخاصرة

- حلقة /١/

د. عبد الفراتي

لا يمكن الحديث عن حاضر الليرة السورية المؤلم، دون الخوض في تفاصيل ولادتها المؤلمة، وإذا كانت الولادة عادةً تبدأ بنزيف الدم، فإن ولادةً منالخاصرة كتلك التي جاءت بالليرة السورية قد تبدأ بالدم وتعيش به وتنتهي إليه، ولا سبيل في تتبع تلك الولادة سوى العودة تاريخياً إلى المخاض الأول.

فهاكم سرداً تاريخياً موجزاً يعود بنا إلى زمن البرغوث!!

في أواخر القرن الثامن عشرالميلادي وفي ظلّ سيطرة الامبراطورية العثمانية على المنطق، كانت سوريا جزءاً منها، فتبعت طبيعياً السلطة النقدية في الآستانة، فأُنشأ في سوريا المصرف الامبراطوري العثماني في منتصف القرن الثامن عشر، وأخذ على عاتقه الحق الحصري في إصدار النقد المتداول في سوريا والتحكّم في سائرالحياة النقديّة والمصرفيّة فيها، حتى فترة الانتداب الفرنسي على البلاد في العام ١٩٢٥ م، وخلال هذه الحقبة الممتدة نحو نصف قرن، عرفت الحياة المصرفية السوريّة افتتاح بعض المصارف الغربية داخل سوريا، فافتُتح مصرف سالونيك عام ١٨٨٨ ، والمصرف الألماني الفلسطيني عام ١٨٨٩ ،والمصرف الإنكليزي الفلسطيني عام ١٩٠٣ ، والمصرف الألماني الشرقي عام ١٩٠٦ ، ومصرف روما ١٩١٩ ، ومصرف سوريا التّابع للمصرف الامبراطوري العثماني في نفس العام والذي أصبح بعد الانتداب الفرنسي مصرف سوريا ولبنان. كما شهدت الحياة المصرفية في سوريا بروز بعض البراعم المحلية لمهنة الصرافة، متمثّلة في شركات صرافة محلية وطنيّة، كمصارف (مرقدة وسارة) في دمشق، ومصارف (الأسود وصفرا)في حلب.

خلال هذه الفترة كان الإصدار النقدي لهذه المصارف يستند إلى نظام التغطية الذهبي، كما استمر التعامل بالعملات المعدنية المصكوكة بالذهب والفضة، وفي بداية الانتداب الفرنسي تمت طباعة ليرة سورية مرتبطة بالفرنك الفرنسي لمساعدة الفرنك بالخروج من أزمة هبوطه بعد الحرب العالمية الأولى، وذلك بإيجاد أسواق تصريفٍ له خارج الحدود الفرنسية على امتداد المستعمرات في الشرق، وقد كان سعرالصرف وقتها (١ ليرة سورية ٢٠ فرنك فرنسي)، وأعيد سحب جزء من هذا الإصدار في مرحلةٍ لاحقة نظراً لاضطراباتٍ نقدية أحدثها في السوق السورية، وخلال هذه الفترة كان للانتداب وجه اقتصادي لا يقلّ بشاعةً ولا استغلالاً عن ذاك الوجه العسكري الذي صبغ البلاد، فقد كانت اللّيرة السورية ضحية اتفاقيات خارجية لامصلحة ولادخل لها فيها،فقد أدى التحالف الذي ربط الجنرال ديجول بالإنكليز، في الحرب العالمية الثانية إلى ربط الليرة السورية بالجنيه الإسترليني في اتفاقية عام ١٩٤٤ ، ثم نُقضت هذه الاتفاقية وأُعيد ربط الليرة السورية بالفرنك الفرنسي المتهاوي، وقد شكّلت هذه العضلة إحدى أعقد وأكثر المشاكل تشابكاً وجدلاً في معاهدة الجلاء الفرنسي عن سوريا، نظراً لتشابك الليرة اللبنانية معها، وقد شهدت الليرة السورية في هذه المرحلة ظهور أسعار الصرف المتعددة لأول مرة في تاريخيها فكانت على النحو التالي:

عملة عثمانية قديمة

السعر الرسمي الحكومي (١ دولار ٢,٢ ليرة سورية)،وسعر حرّ للاستيراد والتصدير(١ دولار٦٥,٣ليرة سورية)، وسعر مزدوج فئة -أ- للنشاط غير المتعلق بالتصدير (١ دولار =٣,٤٨ ليرةسورية)،

وسعر مزدوج فئة-ب- للشركات النفطية العاملة، أوذات المصالح في سوريا(١ دولار ٢,٥ ليرة سورية)

للمتأمل طبعاً أن يحس بغصة واضحة وهو يتألم، كيف كانت الليرة وأين أصبحت!! فلنتابع..

في العام ١٩٥٣ تم تشكيل مجلس النّقد والتسليف الذي تولى مهمة إصدار الليرة السورية الجديدة، وفي العام ١٩٥٦ تم إحداث مصرف سورية المركزي، لتولد أول ليرة سورية تحمل اسم المصرف في العام ١٩٥٧ ، وصولاً إلى الستينيات التي عرفت بداية الخنجر الطويل، الذي بدأ نصله بالانغراس في خاصرة الليرة السورية.

كانت بداية النّصل تلمع في استراتيجية التأميم إبّان الوحدة مع مصر، فقد جُيّرت للإقليم الجنوبي من الجمهورية المتّحدة كلّ المميزات والتفضيلات النقديّة على حساب الإقليم الشمالي، وأُعيد ترتيب الحياة المصرفيّة في سوريا، على مقاس مصر بسلسلة من قوانين التعريب المصرفي، فحدّ ذلك كثيراً من سلطات المصرف المركزي السوري وأفرغها من مضمونها، وازدادت محنة الليرة السورية بالتقييدات والعراقيل التي وضعَتْها سياسة الجمهورية المتحدة في سعر صرف الليرة وارتباطها بالجنيه المصري،واستمرت تلك الحقبة المتقلبة نقدياً في التحكم بمصير الليرة السورية والاقتصاد السوري آخذة الوضع إلى مزيدٍ من التدهور، وصولاً إلى انقلاب ٨ آذار عام ١٩٦٣ ووصول البعث إلى السلطة، وحتى ذلك الحين كان الاقتصاد السوري يرتكز منذ الاستقلال عن فرنسا على الاقتصاد الحر، أو ما يمكن اعتباره ضمن النموذج الرأسمالي للاقتصاديات الناشئة، وباعتماده على الزراعة خاصةًمحصولي القطن والقمح، ولذا فقد طُبع الاقتصاد القومي بطابع الاقتصاد المعيشي،وكانت سيطرة البورجوازية واضحة للغاية على معظم مفاصل الاقتصادفي الدولة في ظل الاقتصاد المفتوح، متمثّلة في شريحة كبار التجّار في دمشق وحلب، وكبار الإقطاعيين في الجزيرة السورية، الذين اعتمد عليهم البعث في تركيز سلطته، إلاّ أن الشمّاعة الاشتراكية التي أتى بها البعث ليبرر استراتيجية التأميم قد أضرّت بالودّ والمصالح التي جمعت البعث وشريحتي التجار وكبار الإقطاعيين، وهو ما برر انزياح رؤوس الأموال إلى لبنان وتركيا في ظل مناخهماالجاذب لرأس المال السوري، فأضعف من جهة أخرى من القوة الشرائيّة لليرة السورية قياساً إلى ما سبق. استمر ذلك الوضع حتى انقلاب حافظ الأسد عام ١٩٧٠ ووصوله إلى السلطة، حيث استمر بتعليق الشمّاعة الاشتراكية وعمِلَ على استمالة تجار دمشق

وحلب صانعاً منهم بطانة خفيّة للنظام، وطبقة تتحكم بالدولة من وراء السّتار، وقد استفاد تجّار دمشق وحلب من مميزات كثيرة بسبب قربهم من السلطة،وهو ما يفسّر وقوفهم في صفّ النظام في أحداث الثمانينيات، والثورة السورية دفاعاً عن مكتسباتهم وحفاظاً على امتيازاتهم الحصرية.

شهدت الليرة في فترة السبعينيات انتعاشاً ملموساً عُزيَ بشكلٍ رئيس إلى ارتفاع أسعار النفط عالمياً،خاصة عائدات مرور النفط العراقي، بالإضافة إلى الدعم العربي الذي تلقّته بعد حرب عام ١٩٧٣ ،واستمر ذلك حتى بداية حقبة الثمانينيات وأحداث حماه التي أودت بالليرة السورية إلى الجحيم.

ساهم المجهود الحربي الذي صُرف في الحرب على الإخوان المسلمين،في إفلاس خزينة الدولة من القَطْع الأجنبي وأدى إلى تدهور سريع ومتصاعد في قيمة صرفها، فتعرّضت لانهيار شديد وصل لنسبة عشرة أضعاف تقريباً من قيمتها قُبيل اندلاع الأحداث،فقد سجّل سعر صرف الليرةالسورية أثناء الأحداث ٤٠ ليرة مقابل الدولار بعدما كان الدولار يساوي ٤,٥ ليرات قبل الأحداث،وهو ما ساهم في خلق أزمة اقتصادية كبيرة في البلاد تمثّلت في فقدان الليرة لقوّتها الشرائيّة، والنقص الحاد الذي شهدته البلاد،وانتشار لحالة من الرّكود التضخّمي وفقدان الثّقة الاستثمارية، و كذلك عدم توافر معظم السلع الأساسية، ويتذكر البعض ممن شهد تلك المرحلة الطوابير الطويلة للمواطنين، الذين يقفون مطولاً في انتظار تأمين بعض المواد الغذائية الأساسية أمام المؤسسات الاستهلاكية.

هنا يبدو النزف– نزف الليرة السورية من خاصرتها-واضحاً بشكلٍ جليّ وأكثر سفوراً من المرحلة السابقة، ولم يكتف النظام وسط هذه الأزمة الاقتصادية الخانقة بالتصعيد الحربي وحسب، بل عمدَإلى تعميق هذه الأزمة لصرف النظر عن فظائع حماه بإلهاء الشّعب بقوت يومه، كما لجأ إلى إعادة توزيع الثروة القومية بإفقار الأغنياء من السُنة وسحب كل الأموال المكدّسة بيد تجارهم المُمسكين–حتى ذلك الوقت–بأهم المفاصل النقدية والاقتصادية في البلاد، ما ساهم في تفاقم الوضع والمزيد من الانحدار في سعر صرف الليرة السورية، على عكس الطائفة العلوية التي كانت تمتلك مفاصل الأمن والجيش منذ ذلك الوقت، إلا أن نفوذهم بقي في الإطار العسكري والأمني، ولم يخوضوا–حتى مرحلة متأخرة–في المجال الاقتصادي والمالي، وكذلك الحال ينطبق على بقيّة الأقليات كالمسيحيين أو الأكراد وغيرهم.

رغم الاكتشافات المتتالية للحقول النفطيّة في شرق البلاد وتدفّق الملايين من الدولارات جرّاء تصدير النفط، إلا أنّ كل ذلك لم يسهم في إعادة التوازن لليرة السورية المتدهورة، ولا أن يعيد لها جزءاً من قوتها الشرائية، إذ لم تدخل تلك الملايين أساساًلخزينة البنك المركزي ولا حتى موازنة الدولة، كونها،في أيدٍ أمينة، حيث صُبّت عوائد البترول السوري في جيوب الأسرة الحاكمة ومن يواليها من طبقة التجار، وأولئك المستفيدين من بقاء الوضع على حاله.

استمرت تلك الحال واستمر التدهور في سعر الصّرف وبلغ النزف مستويات قياسية، إلاّأن بداية التسعينات قد شهدت بداية استراتيجية جديدة اختطّها النظام لمواصلة الطعن نقدياً في خاصرة الليرة،والتي عرفت بدايتها بقانون الاستثمار رقم /١٠/، وقد امتازت هذه المرحلة بظهور وصعود الشركات القابضة للأموال،إلى الواجهة الاقتصادية التي شرعت في جمع المليارات من الليرات وعمّت مختلف جوانب الاقتصاد، إلاّأنها تعرّضت لانهيار مفاجئ بعد عام ١٩٩٤ بعد توقّف هذه المشروعات عن العمل وسحب رؤوس أموالها من قِبَل النظام، الذي استطاع من خلال بعض الثغرات المتعمّدة في هذا القانون من منح المقرّبين منه امتيازات خاصة، وتخصيصهم بالمشاريع الكبرى، منهم من كان من الطائفة العلوية ومن الأسرة الحاكمة بالذات، ك(ذو الهمّة شاليش) الذي كان أحد مرافقي حافظ الأسد وابن شقيقته، وعُرفَ باستثماراته في مجالات البنية التحتيّة وخاصة ما يتعلق منها بالطرق.

يضاف له(آل الأخرس)، وهم من السّنة وقد تزوج بشار من ابنتهم أسماء الأخرس، وقد عرف عن العائلة نفوذهم وسيطرتهم في مجال الطرق رغم تأميم الشركة عام ١٩٦٣ ، والتي أصبحت شركة وطنية أُطلق عليها اسم(رودكو)، إلا أنّ ذلك لم يغيّر من الأمر شيئاً واستمرت استراتيجية النظام على حالها،فقد استمر(ذو الهمّة)بالسيطرة على كافة الاستثمارات الكبرى في مجال الطرق والبنية التحتية بصفة عامة.

ذلك كان مثالاً بسيطاً عن استراتيجية كاملة اختطّها النظام خلال حقبة التسعينيات، والتي لم يشفع لها تدفّق المساعدات الأجنبية والخليجية في إعادة إحياء الليرة السورية بعد عوائد حرب الخليج، واستمرت الخاصرة بالنزف، حتى بداية عقد الألفيّة الجديدة حيث بدأت استراتيجية جديدة بعد وصول بشار للسلطة،والتي سنفرد لها حلقة تالية.

يتبع..

المصرف الزراعي العثماني

جريمة الحرب الصامتة في سوريا: الاغتصاب الممنهج الواسع النطاق

جريدة اللوموند آذار ٢٠١٤ آنِك كوجان
حنطة - ترجمة

تتراكم الأدلة على أن النظام السوري يستخدم الاغتصاب - اغتصاب الفتيات أمام آبائهن والزوجات أمام أزواجهن- كسلاح موجّه يبتغي أهدافاً.إنها الجريمة الأكثر صمتاً التي تُرتَكب حالياً في سوريا.جريمة واسعة النطاق تُنفَذ من قِبل النظام بطرق بربرية لامثيل لها،تُعول على محرمات المجتمع السوري التقليدي العميقة الجذور،وعلى صمت الضحايا لاقتناعهم أنهم سيُنبَذون من أسَرهم، أو ربما يُقتلون.

محققو الأمم المتحدة والكثير من المنظمات غير الحكومية يقولون إنه بسبب الصمت فشلوا بأن يُوثقوا بشكلٍ كاف الروايات الواسعة الانتشار عن الاغتصاب المنهج منذ اندلاع الثورة في سوريا. لم يتم التطرق لهذه الجريمة إطلاقا في محادثات جنيف، مع أن الناشطين يعتقدون أنه يوجد عشرات الآلافمن الضحايا. نعم، لقد كان الاغتصاب سلاح الحرب السري للنظام طيلة السنوات الثلاث الماضية. «علما» التي أصابها الهزال تستلقي على سرير في أحد مشافي عمان. أبداً لن تعاود المشي، فعمودها الفقري قد تفتت بفعل ضربات وجهها أحد شبيحة النظام مستخدماً عقب بندقيته. في الشهور الأولى للثورة بدأت هذه المرأة البالغة من العمر ٢٧ عاماً التي هي أم لأربعة أطفال ومجازة في مجال الإدارة، العمل مع حركة التمرد. في البداية كانت تُحضر الطعام والدواء، وفيما بعد كانت تحمل الذخيرة في صُرةٍ معقودة على بطنها متظاهرةً بأنها حامل.

بدِك حرية؟

في أحد الأيام أُلقي القبض عليها عند نقطة تفتيش في ضواحي دمشق. أمضت ٣٨ يوماً في مركز اعتقال للمخابرات الجوية مع حوالي ١٠٠ امرأة أخرى. «لابُدّ أن أبو غريب كان نعيماً بالمقارنة مع هذا المركز» قالت بابتسامة باهتة، مُلمِحة إلى السجن الأميركي في العراق. «لقد تعرضت لكل شيء! ضُربت بقسوة وجُلِدت بسياط فولاذية، وعانيت من إطفاء أعقاب السجائر على رقبتي،وشفرات الحلاقة على كل أنحاء جسمي والكهرباء في مهبلي. كنت أُغتصب كل يوم، وأنا (مطمشة)، من قبل عدة رجالٍتفوح منهم رائحة الكحول وممتثلين لأوامر رئيسهمالذي كان دائم التواجد هناك.كانوا يصرخون «بدّك حرية؟ شو عليه، خدي حرية!». كثير من النسوة، كما توضح، بالإضافة إلى آلامهن، كنّ يعتقدن أن عائلاتهن قد يقتلونهن إن اكتشفوا ما قد جرى لهن. تصميمها على التطوع في الجيش السوري الحر أصبح بالمحصلة أقوى. عندما أطلق سراحها أصبحت واحدة من النسوة النادرات اللواتي يَقُدن كتيبة على رأس ٢٠ رجلاً،قبل أن تُصاب إصابةً بالغة وتُخلى من قبل رفاقها الثائرين.

لوحة للفنان : محمد أبو زيد

مئات آلاف السوريين تدفقوا إلى الأردن، حيث استطعنا، بفضل الأطباء والمحامين والأخصائيين النفسانيين، أن نجمع ونقاطع عدداً كبيراً من الشهادات وأن نقابل عدة ضحايا وجهاً لوجه. حالات الاغتصاب تؤثر على الآباء والأخوة والأزواج قال برهان غليون، وهو عضو بارز في المعارضة، إن الانتباه الدولي يجب أن يتركز على الاغتصاب الذي يمارسه عناصر النظام. «إنه السلاح الذي جعل ثورتنا، التي هدفت لأن تكون سلمية، تصبح عنفيةً إلى هذا الحد». ويقول إنه منذ ربيع ٢٠١١ كانت حملات الاغتصاب من قبل الشبيحة تُنَظّم داخل البيوت حينما كانت العائلات لاتزال موجودةً هناك. كان يتم اغتصاب الفتيات أمام آبائهن، والزوجات أمام أزواجهن.جُن جنون الرجال من الغضب وصرخوا قائلين إنهم سيدافعون عن أنفسهم وينتقمون لشرفهم. «كنت أعتقد أنه علينا أن نفعل كل شيء نستطيعه لنتجنب الدخول في مرحلة مسلّحة، وأن تسليح الثورة سيرفع عدد القتلى إلى حد كبير. لكن استخدام الاغتصاب دفع الأمور في الوجهة الاخرى. وأظن أن الأسد أراد أن تأخذ الأمور هذا المنحى. حالما يتسلّح الثوار يستطيع بسهولةٍ أن يبرر المجازر بحق أولئك الذين سبق وسماهم (إرهابيين)» من الصعب البرهنة على هذه النظرية، لكن الثابت أن العنف الجنسي قد ازداد،مساهماً بالنتيجة في مناخ الخوف. تقول الكاتبة سمر يزبك: «تُستَخدم النساء كوسيلةٍ للتأثير على الآباء والأخوة والأزواج. أجسادهن أصبحت ميادين قتال وغرف تعذيب. يبدو لي أن المجتمع الدولي صامت عن هذه المأساة صمتاً مطبقاً.

النظام، لكن جميع هذه المنظمات تذكر أيضاً الصعوبة البالغة في الحصول على شهادات مباشرة،والصمت العنيد للضحايا والخوف من جرائم شرف بحق النسوة المغتصبات والقلق الناجم عن الاعتقاد المعمم بأن المرأة التي اُعتُقِلت قد تم اغتصابها بالضرورة. أحد التقارير الموثق بشكل جيد والمنشور في تشرين الثاني من قبل الشبكة الأوربية – المتوسطية لحقوق الإنسان، يؤكد حجم المأساة ويشير إلى الضرورة الملحة للتحقيق في جرائم الحرب هذه التي إن ثبت أنها كانت مدروسة وعن سابق تصميم، فقد توصف كجرائم ضد الإنسانية.

تقول سيما نصار وهي تتحدث عبر السكايب: «لقد جعل النظام النساء هدفه الأول. يتم التصويب إليهن من قبل القناصين، وخصوصاً إلى النساء الحوامل. ويُستَخدَمن كدروع بشرية، كما حدث في حمص في شباط ٢٠١٢ عندما اجبر الجيش النسوة على المشي أمام الجنود. وهنَّ أيضاً عرضة للاختطاف من أجل الفدية أو المبادلات. إن اغتصاب النساء بشكل ممنهج، أكنَّ في التاسعة من العمر أو في الستين،يشكّل طريقةً لتدمير النسيج الاجتماعي بكامله على المدى الطويل». وتقول سيما نصار إن لديها قصصاً تحكيها عن حالات محددة مع التواريخ، كحالة هذه الشابة من حماة،وهي حالياً لاجئة في الولايات المتحدة. كانت في البيت مع أخوتها الثلاث عندما اقتحم الجنود المنزل وطلبوا من الرجال أن يغتصبوا أختهم. رفض الأول فقطعوا رأسه. رفض الثاني فلاقى المصير نفسه. وافق الثالث فقتلوه فوق الفتاة، ثم قاموا باغتصابها.

إليكم هذه القصة التي حكتها امرأة سورية أخرى عن إحضارها إلى بيتٍ في ضواحي حمص في صيف ٢٠١٢ مع حوالي عشرين امرأة أخرى. لقد عُذّبن واغتُصبن بشكل جماعي أمام كاميرا.بعد ذلك أُرسل شريط الفيديو إلى عمها، وهو شيخ بارز وواعظ تلفزيوني وعضو في المعارضة. يقول عبد الكريم الريحاوي، رئيس المنظمة السورية لحقوق الإنسان، لصحيفة اللوموند: «هذه الممارسة تتكرر بشكل كبير أثناء الغارات على القرى، وهي ممنهجة في مراكز الاعتقال التي لدى أجهزة الاستخبارات. وهو يُقَدّر أنه قد تم اغتصاب أكثر من ٥٠٠٠٠ امرأة في سجون الأسد منذ بدأت الثورة.

المناخيس الكهربائية

في مخيم الزعتري للاجئين السوريين قابلنا سلمى التي بدت منهكة بدنياً وبعينين لا حياة فيهما.كانت قد ولدت في درعا قبل خمسين عاماً، لكنها كانت تعيش مع زوجها وأبنائها الثمانية في دمشق. في عام ٢٠١١ صُعِقت عندما علمت أن أطفالها فُصِلوا من مدرستهم رداً على الثورة في مسقط رأسها. «بأي حق تعاقبون أبنائي الصغار؟ لا علاقة لهم بهذه الأحداث» قالت شاكية لمدير المدرسة. لم تكن قد أنهت جملتها عندما اندفع رجال الاستخبارات إلى الداخل. وضعوا كيساً على رأسها واقتادوها إلى قبو معسكر اعتقال حيث رموها داخل زنزانة معتمة ملأى بالجرذان. أمضت يومين هناك دون ماء أو طعام، قبل أن تنضم إلى امرأتين أخريين في زنزانة صغيرة لستة شهور. «لم نكن نستطيع أن نضطجع ولم يكن مسموحا لنا الاغتسال، حتى أثناء فترة الطمث. كنا نُغتصب كل يوم. أي إشارة احتجاج كانت تُقابَل بنخسات كهربائية في المهبل أو الشرج. كانوا يضربونني كثيراً لدرجة أنهم كسروا ساقي التي أصبحت سوداء. أفراد أسرتي لم تصلهم أخبار عني لستة شهور. ولما كنت أميةً، فقد وقعت أي اعتراف بالإبهام. عندما أطلق سراحها كان زوجها قد اختفى مع سيارتهم.

صدمات نفسية لا تشفى

اعتُقلت أم محمد البالغة ٤٥ عاماً، في الشارع مع ابنتها في أيلول ٢٠١٣، وأحضِرتإلى مطار المزة العسكري. لأن موبايل ابنتها كان يحتوي على علم الثورة وصورة شهيد، فقد سُجنت المرأتان لعشرين يوماً تم خلالها ضربهما واغتصابهما وحبسهما في زنزانة مساحتها ٤ أمتار مربعة مع ١٧ امرأة أخرى وعدة أطفال. إحدى النسوة، وهي زوجة عضو في الجيش الحر مشتبه بكونه جزء من عملية اختطاف ٤٨ إيرانياً في آب ٢٠١٣، كانت هناك مع ولديها البالغين من العمر ٨ و٩ سنوات. زوج امرأة أخرى، وهو مدير سجن كان يُعاقب لمعارضته التعذيب المفرط، كان محتجزاً في الطابق الواقع تحت زنزانتهم، بطريقة تسمح له بأن يسمع صرخات زوجته وهي تغتصب.

لقد وصف الأطباء أعضاء تناسلية متهتكة وأجساد حلت بها البلايا وصدمات نفسية غير قابلة للشفاء.وهكذا فإن السؤال اللاحق هو: أكانت هذه أعمال بربرية فردية نفدتها مجموعات مرتزقة بمفردها ومتروكة تتصرف على هواها، أم كانت جزءاً من استراتيجية مدروسة تستخدمها مجموعة قيادية خاضعة للأوامر؟

ليس لدى الريحاوي أي شك: «إنه خيار سياسي لسحق الشعب.كل شيء منظم بشكل دقيق والأمر ليس مصادفة، فالشهادات متشابهة وبعض الذين مارسوا الاغتصاب اعترفوا أنهم قد تصرفوا حسب الأوامر » تقول سيما نصار: «لدي صور لعلب منشطات جنسية بحوزة رجال المليشيات قبل الإغارة على قرية ما» العديد من الشهادات أيضاً تكلمت عن استعمال منتوجات تسبب الخدر كانت تحقن في أفخاذ النساء قبل اغتصابهن.

أسوأ من الموت

إحدى الضحايا أوضحت أن طبيباً في مركز اعتقال في دمشق كان يجوب الزنازين ليكتب تواريخ فترات الطمث لكل امرأة ويسلمها حبوب منع الحمل. «كنا نعيش في القذارات. في الدم والبراز، دون أي ماء وتقريباً دون طعام. إلا أنه كان لدينا خوف مرضي من أن نصبح حوامل لدرجة أننا كنا نأخذ هذه الحبوب بدقة متناهية. ذات مرة، عندما تأخر مجيء فترة الطمث، أعطاني الطبيب حبوباً سببت لي آلام معدة طوال الليل».

يقول الخبراء إن هذه الشهادة حاسمة لإثبات سبق التصميم لحالات الاغتصاب في المعتقلات. إلا أنه ولد أطفال من حالات الاغتصاب الجماعية هذه، مما أدى لسلسة من المآسي. في اللاذقية انتحرت امرأة شابة لأنها لم تستطع أن تجهض.امرأة أخرى رماها والدها من شرفة الطابق الأول.

شمل العائلات يتفتت. فالأزواج يشيحون وجوههم ويطلقون زوجاتهم، والآباء يدفعون بناتهم للزواج من أول رجل يقبل بهن. تهمس طالبة حقوق بالقول وهي تبكي: «العالم مشغول البال بالأسلحة الكيماوية، لكن بالنسبة لنا، نحن النسوة السوريات، الاغتصاب أسوأ من الموت». حتى الآن

(فسبكة) الثورة السورية..

بقلم : جاستن ميتشل
ترجمة : غياث عبد العزيز
عن موقع www.latitudenews.com

عند لقائنا بشادي البطل، كان من الصعب ألاّ نندهش الشاب الذي يبلغ من العمر ٢٥ عاماً فقط، ويعمل في صالون لتصفيف الشعر في شارع (باي ريدج – بروكلين) منذ خمس سنوات.كان زوجاً سعيداً، يقود سيارة من نوع BMW جذّابة المظهر في شوارع حيّه العربي الأمريكي النابض بالحياة. لدى شادي في الواقع قصة تجسّد نجاح المهاجرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

لكنّ حياة البطل كمواطن سوري ، هي في الواقع أكثر تعقيداً مما تبدو عليه.

ولد البطل في محافظة إدلب شمال غرب البلاد، واحدة من معاقل الجيش السوري الحر. وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى مقتل أكثر من ٦٠,٠٠٠ شخص في الصراع. وعلى الرغم من انغماسه في حياته الأمريكية الجديدة، لم ينجح البطل في مسح ما علق في ذاكرته عن حياته السابقة في الوطن.

الاتصالات محظورة:

مع احتدام الصراع، يعرف البطل جيداً هو ورفاقه السوريون في أمريكا أن الكثيرين يموتون كل يوم، وفي أيّة لحظة يمكن أن يكون أحد أحبّائهم في الوطن هو التالي، ومنذ آذار/مارس ٢٠١١، ومع بداية الانتفاضة على شكل سلسلةٍ من الاحتجاجات السلميّة كغيرها من دول الربيع العربي، قام نظام الأسد بكل ما في وسعه لمنع الصحفيين الأجانب من دخول البلاد.العديد من السوريين في الولايات المتحدة حاولوا مواكبة الأحداث من خلال مشاهدة شبكات التلفاز في المنطقة مثل: قناة الجزيرة، قناة العربية، بي بي سي العربية، وCNN الدولية.لكنّ البطل كغيره من الناس كان بحاجة لمعرفة المزيد.

خاصة وأن عائلته لاتزال في إدلب، ويتحدث شادي إليهم على الهاتف في كثيرٍ من الأحيان، لكنّ سوري هي دولة المخابرات، وهذا يعني أن الشرطة السريّة مزروعة بين السكان، والمخبرون يتنصون دائماً على المكالمات، ومن المستحيل لأسرة البطل أن تتحدث معه بحرية. إذا كانوا استعملوا الحمام فإن الشرطة سوف تعرف، «كما يقول البطل»، لذلك فهو يستعمل الرموز في الحديث معهم بدلاً من التفاصيل.

وفي ظلّ هذه الحواجز في وسائل الإتصال التقليدية، اضطر السوريون في أمريكا وفي وطنهم أن يبحثواعن وسيلة جديدة: وسائل التواصل الاجتماعي.

الفيس بوك واليوتيوب يسدان الفجوة:

كلّما تصاعد النزاع في سوريا، ظهرت مئات صفحات الفيسبوك وقنوات اليوتيوب بشكل يكفي لملئ الفجوة لدى السوريين في المهجر، وبالنسبة للبطل أصبح الفيسبوك مصدراً للأخبار.

صورة المقال الأساسية

أول شيء يقوم به في الصّباح هو تصفحه، قبل أن يراقب الشبكات الإخباريّة الرئيسية باللغة العربية، وذلك لسرعته في نقل الأخبار وخصوصاً الصفحات المحليّة فيه.

«ليس عليك إنتظار نشرات الأخبار» يقول البطل، «فكلما حدث أمر جديد ستعلم به خلال نصف ساعة».

بالنسبة للبطل، فهو بحاجة دائمة لمعلومات عاجلة ومتجددة بل وشخصية أيضاً، شقيقه كان مقاتلاً في صفوف الجيش السوري الحر، وفي أحد أيام آب الماضي، أخبره أحد أصدقائه في بروكلين أنه شاهد اسم شقيقه بين أسماء الضحايا على الفيس بوك في إحدى الصفحات المختصة بأخبار إدلب، وعلى الفور إتصل البطل بأحد أقربائه في سوريا ليخبره أن الخبر غير صحيح وأن شقيقه أصيب فقط.

لكن بعد ساعة فقط، نفس القريب اتصل به مجددا، كان شقيقه قد مات بالفعل.وبحسب البطل، فقد كان شقيقه متخفياً يحتسي الشاي في منزل أحد أصدقائه، عندما أطلقت قوات الأسد صاروخاً دمر المنزل بمن فيه.

«كنت أحاول التأقلم مع ذلك الوضع قبل حدوثه»، يشرح البطل، «لكن بعد أن وافته المنيّة أصبحتُ أكثر إدماناً على الأخبار».

تلك كانت البداية فقط، ففي ١٦ كانون الثاني، أصيب عمّ البطل أثناء قصف القوات الحكومية لمدينة إدلب، وقبل ذلك بيوم، أحد أبناء عمومته قُتل عندما سقطت القنابل على جامعة حلب بينما كان الطلاب يؤدّون إمتحاناتهم.

«أتمنى أن أتوقف عن متابعة الأنباء»، يقول البطل. «لكنني لا أستطيع».

الأخبار واهتمامات السوريين في نيوجيرسي:

في فترة وفاة شقيقه، حاول البطل العثورعلى أكبر عدد ممكن من مصادر المعلومات، حتى اكتشف «سوريا وبس»، وهو تطبيق تفاعلي خاص بالهواتف النقّالة التي تعمل بأنظمة أيفون وأندرويد، ويوفّر هذا التطبيق الوصول إلى كافة أخبار المعارك في سوريا والتي تقوم بنشرها المعارضة السورية بشكل فوري، حيث يمكن متابعة أسماء الوفيات حسب المنطقة، وأيضاً الوصول إلى الفيديو والصوت والتحديثات.

وليس البطل وحده من يعتمد على وسائل التواصل الإجتماعي، فقد اعتمدها الكثيرون من السوريين الأمريكيين كوسيلةٍ لتقديم معلوماتٍ متجددة عن المعارك.

سامو نوروز، وهو كردي سوري يعمل مترجماً في محاكم نيويورك، يقضي أوقات فراغه وهو يتصفح بنهم صفحات الفيس بوك للحصول على الأخبار، وكما يقول: «الفيس بوك يتفوق بهامش كبير على وسائل الإعلام الغربية».

«تقارير الإعلام الغربية لا تخبرنا حقيقة ما يجري على الأرض»، يقول سامو لموقعنا، إنهم يكتفون بتعميم المعلومات ويقولون أن هناك صراعاً في سوريا، وأن هناك الكثير من الضحايا، لكنهم لا يشرحون عن كيفية قتل العديد من الأطفال، أو كيف تم اغتصاب الكثيرات من النساء».

وكما هو حال البطل، فإن سامو يتابع الفيس بوك بشكل يومي، لكنّه تجاوز التصفّح بمرحلة، فقد حوّل صفحته الشخصية إلى مكانٍ لتوثيق الأخبار لإنشاء خدمة إخبارية غير رسميّة للسوريين.

«بالنسبة لنا—الناس ليست على الأرض— ومن واجبنا أن نقوم بنشر ما يجري من فظائع على الأرض».

ورغم أن صفحته لا يزيد أعضاؤها عن ٤٠٠ مشترك، إلاّ أن سامو يقول أنها أصبحت مصدراً لأخبار السوريين في الداخل.

ويبدو أن (كل من سامو والبطل)يثقان بمصداقية المعلومات التي تنشر في الفيس بوك، ويقول سامو أنه يتحقق دائماً من معلوماته في العديد من الصفحات قبل أن ينشرها، أما البطل فيقول أن ٩٠٪ من معلومات الفيس بوك تكون صحيحة.

وسائل التواصل الاجتماعي تثير العواطف لدى الطرفين:

(كريسزومبليس) هوأحد كبار المحلّلين في شركة هيليوس العالمية، (وهي شركة استشارية في إدارة المخاطر مقرها في واشنطن العاصمة). كتب زومبليس،حول استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية في الثورة السورية، وأكّد على أنها تلعب دوراً هاماً.

زومبليس يرى أيضاً كيف يمكن لهذه الوسائل أن تثير مشاعر كلا

صفحة الثورة السورية ضد بشار الأسد

الطرفين في هذا الصراع المرير. ويضيف زومبليس:«من الصعب للغاية استخلاص الحقيقة من الدعاية والخيال ومن الكثير من المعلومات التي يتم تضخيمها والمبالغة فيها»، ويتابع: «بالاعتماد على مواقع الإنترنت التي نشاهدها، يبدو أن النظام كان ينبغي أن يسقط منذ ستة أو سبعة أشهر على الأقل، لكن وبحسب اتصالاتي في البلاد، يبدو أن النظام أقوى بكثير، وأن الثوار لديهم سيطرة أقل مما هي عليه في تلك المواقع».

لكن بالنسبة للبطل، تلك المخاوف لاتعنيه، فهو يقرأ كل منشور ويشاهد مقاطع الفيديو التي يمكنه الحصول عليه.

«أحياناً أشعر بالضغط لدرجة أنني لا أستطيع التنفس»، كما يقول: «في أحد الأيام شاهدت شريط فيديو على صفحة فيس بوك تظهر مشاهد مروّعة لجندي سوري يقوم بطعن إحدى الجثث مراراً في الرقبة، لقد جعلني ذلك أشعر بالدوار طوال اليوم».

لكن وبالرغم من وحشيّة تلك المشاهد فإن البطل يرى أن مشاهدة أشرطة فيديو من هذا القبيل أمر مهم جداً لمعرفة كل ما يحدث.

«لايمكنك أن تساعد بل تشاهد فقط»، يقول البطل: «كل ما يحدث يجرّنا بسرعة نحو القاع، كل يوم آمل أن يكون أفضل من الذي قبله، لكن لا شيء يتحسن. والأمر يزداد سوءاً».

مغامرة كادت تودي بطاقم فيلم فاز بجوائز عالمية

عارف حمزة

يعتبر مهرجان صندانس، الذي يُقام كل عام في مدينة يوتا الأمريكيّة، من أبرز مهرجانات السينما في العالم، وهو المهرجان الذي يعرض فيه العرض الأوّل لأيّ فيلم حُر من أمريكا وباقي دول العالم، وقد أسّسه الممثل الأمريكي الشهير روبرت ريد فورد، وقد انطلق هذا العام كعادته في ١٦ كانون الثاني وانتهت فعالياته في السادس والعشرين منه. المهرجان الذي شهد مشاركة المخرج السينمائيّ الكبير ستيفن سبيلبيرغ بعرض فيلمه الجديد «يونج ونس»، وشهد مشاركة الممثّل العالميّ روبرت دي نيرو بفيلم وثائقيّ تكريماً لوالده الذي دفعه للعمل كممثل ومخرج، سيفوز بجائزته الكبرى فيلم «العودة إلى حمص» للمخرج السوريّ طلال ديركي كأفضل فيلم تسجيليّ كمفاجأة كبرى.

لم تكن هذه هي الجائزة الوحيدة التي سيحصل عليها هذا الفيلم، الذي سيعتبر علامةً فارقة في صناعة السينما السوريّة الجديدة، فخلال الشهرين الماضيين سيزور الفيلم مهرجانات عديدة كي يُعطي الدهشة والألم والإبداع للجمهور، في طريقه لحصد الجوائز المتميّزة فيها. فالفيلم سيحصل على الجائزة الكبرى في مهرجان سينما حقوق الإنسان في باريس هذا العام، إضافةً لجائزة طلاب المدارس الثانويّة والمهنيّة هناك. وفي١٤/٣/٢٠١٤م سيحصد الجائزة الكبرى في مهرجان سينما حقوق الإنسان في جنيف، وقبلها سيحصل على جائزة أفضل فيلم صاعد في مهرجان «فل فريم» في الولايات المتحدة الأمريكيّة. وفي سلوفينيا سيفوز بالجائزة الكبرى لمهرجان سلوفينيا الدولي.

ما قد لا يُفكّر به الجمهور هو أنّ الفيلم بُني على مغامرةٍ كان من الممكن أن تكون إحدى نتائجها عدم مشاهدة هذا الفيلم نهائيّاً. لذلك علينا القول ابتداءاً أنّ طريقة تصوير هذا الفيلم لوحدها في حاجةٍ لجوائز تتعلّق بالشجاعة من أجل الإبداع، ولكنّها للأسف غير موجودة في كلّ مهرجانات وجوائز السينما العربيّة والعالميّة، بالإضافة طبعاً لما يحويه الفيلم، فطاقم هذا الفيلم يُغامر بتصوير أحداث الثورة والحصار والدمار في المناطق الثائرة من مدينة حمص السوريّة على أرض الواقع مباشرة، إذ لم يعتمدوا على أيّة وثيقةٍ بصريّة من غير عيون كاميراتهم المحمومة، وهذه مغامرةٌ كبيرة قد تكون نتيجها عدم مشاهدة الفيلم لو تعرّض المصوّرون الأربعة للموت، خاصّة وأنّ أحد المصوّرين الأربعة كان مخرج الفيلم نفسه، ومؤلّفه.

تشبه مغامرة المصوّرين الأربعة هذه مهمّة المقاتلين العشرين الذين كوّنوا مع الشاب «عبد الباسط ساروت» كتيبة شهداء البيّاضة، فخلال تصوير أحداث الفيلم يموت أكثر من نصف أولئك «الممثّلين» المقاتلين، الذين نشاهد موتهم مباشرة خلال التصوير، وهذا الموت كان من الممكن أن يطال طاقم الفيلم نفسه، مع انهمار الصواريخ والقذائف على المكان، ومع انهيار الأبنية تباعاً. خاصّةً إذا عرفنا أن الفيلم، الذي مدّته ساعة ونصف، قد استغرق تصويره ما يُقارب الثلاث سنوات تحت الخطر.

سيُصاب «أسامة» بشظايا صاروخ دمّر منزل عائلته بالكامل. أسامة الذي كان أحد المصوّرين الأربعة كاد يفقد حياته في لحظةٍ واحدة، وبقي لأسابيع مرتعباً من فقد أصابع يده بعد أن نجا، واستطاع أخيراً المشي على قدميه، والذهاب إلى بيت العائلة ليجد كوبين فقط قد نجيا من كلّ البيت.

حادثة إصابة أسامة وأخذه لإجراء الإسعافات الجراحيّة الطبيّة له ستكون مشهداً من مشاهد الفيلم نفسه، وهذه لفتة ذكيّة من المخرج في تصوير زميلٍ

له كأحد المقاتلين، ولو بالكاميرا، في معارك فكّ الحصار عن مدينة حمص.

في مشهدٍ آخر سيكون علينا أن نسمع ضربات قلب أحد المصوّرين الأربعة أثناء محاولة عبوره من بناء إلى آخر، بينما القنّاصون يترصّدون كلّ حركةٍ هناك. الكاميرا تهتزّ في يده بسبب الركض السريع والتنفس السريع والخوف الكبير. في تلك اللحظة كان من الممكن أن تسقط الكاميرا على الأرض، وتدوم لحظة تصوير حفرةٍ صغيرةٍ في الشارع، قد تمتلئ بعد دقائق بدم المصوّر «قحطان حسّون». ولكنّ قحطان سينجو أيضاً لحسن حظّه وحظّنا.

قحطان سينجو في مشهدٍ آخر لم ينجُ منه الكثير من المقاتلين الذين تمّ تصويرهم في تلك اللقطة المخيفة. اللقطة تبدأ برمي «الساروت» لقنبلةٍ يدويّة من خلف جدارٍ على أحد المقرّات الخاصّة بجيش النظام السوريّ، فتنفتح في تلك اللحظة كلّ فوّهات الجحيم على ذلك الجدار الذي كان خلفه أولئك الشبّان المقاتلون. سيرى المشاهدون مقاتلاً ينقلب على ظهره بعد إصابته برصاصةٍ في الرأس. ومقاتلاً آخر سيتلقّى رصاصتين في ساقه، وآخران سيُصابان في الصدر، والساروت نفسه سيتلقى رصاصة في قدمه.

وسنسمع الأنين المتواصل والصرخات الآدميّة الحقيقية، وسيعلو بخارٌ خفيف لدم حقيقيّ وحار، بينما الملائكة ستبقى تحرس قحطان الذي لم يهرب، بل بقي يصوّر كلّ شيء مقاتلاً بسلاحه الخفيف وهو الكاميرا.

الفيلم الذي يصوّر حصار حمص لثلاث سنوات في ساعةٍ ونصف، يشعر فيه المشاهد بأنّه أحد الذين من الممكن أن يُصابوا في أيّ مشهد من مشاهد الفيلم، وهو يُعتبر من الأفلام التي من الممكن مشاهدة السينما من خلاله، ويعتبر بدايةً قويّة للسينما السوريّة الجديدة نحو العالميّة.

يستحق فيلم «العودة إلى حمص» هذه الجوائز الكبيرة، هو الفيلم المتكامل لدرجة ما عن قطعةٍ صغيرة من سوريّة المدمّرة، استطعنا مشاهدته كمتفرجين، بينما الذين كانوا هناك، وعاشوا هناك تلك اللحظات، ومثّلوا الفيلم من دون تلقين، لن يشاهدوه بعد الآن.

بطاقة الفيلم : العودة إلى حمص

فيلم تسجيلي للمخرج السوريّ طلال ديركي .

شارك في التصوير : قحطان حسون وعروة نيربية وأسامة الحمصي وطلال ديركي.

مونتاج آنا فبيني. وهي مونتيرة عالمية معروفة.

أنتج الفيلم عروة نيربية، المنتج السوري والشريك المؤسس في مهرجان أيام سينما الواقع «دوكس بوكس»، الحائز على جوائز عديدة منها «قلب سراييفو»، و«جائزة «شبكة التسجيلي الأوروبي».

وشارك في الإنتاج المنتج الألماني المعروف هانز روبرت آيزنهاور، بالاضافة إلى قناة «إس دبليو آر» الألمانية وقناة «آ آر تي» الفرنسية الألمانية، والتلفزيونات الوطنية لكلّ من السويد واليابان.

على هامش التغريبة الرقاوية

نص أدبي

يوسف بوزو

حيدر..بُنَي: حالَ وصولي الى الرقةِ وجدتُهُ، قلم التغريبة! كان شاحباً وعطشاً، لقد سمعتُ أنينهُ فبكيتُ وامتزجَ حبرُ قلم التغريبةِ مع ما فاضَ من الدمع، مقدمة القصيدةِ لأولِ الفصول..

في الرقة:يكتبُ الليلُ أبجديةَ الغسقِ، ملوحاً لظلِّ القمرِ ذاك وهو يتهادى على تلالِ البشري، حيثُ أحلامه الداشرات يغفينَ في صمت فخار حيطانها،ويحملنَ آخرَ الليلِ ما انسلَّ منها من أنينٍ وبوحٍ كادَ يذبحُ القلبَ!

في الرقة:ينامُ الحمامُ متأخراً بما أودعَ أعشاشَهُ من هديلٍ، وما ترك من خيالاتِ أجنحتهِ على جذوعِ الغَرَبِ، وما طالَ انتظارُ زاجلهِ في الوصولِ لنافذتِها، وما عادَ محمَّلاً بالغيبِ والسرِّ والبوحِ، وما يبّستْ شمسُ الضحى قشَ أعشاشهِ والحطب.للندى أنْ يبللَ الروحَ ما فتّحَ وردهُ وللطلِّ أنْ يمنحَ ذاكَ الحطبَ حنانَ الرطوبةِ ورأفةَ الأبوّةِ.

صاحتْ الأعشاشُ:صفقتْ أجنحةُ الأمومةِ وعلا ظلُّها، قلبي أوسعُ من خيمةِ الغيم!بكى الحمامُ!

في الرقة:تتجلّى ألوانُ اللهِ على خدِّ النهرِ رقرقةَ روحٍ وتلويحاتِ صفصافٍ أخضرٍ، وتمايلَ مآذنِ بثّتْ بوحَها الشفيفَ بحنجرةِ عاشقٍ!

صاحَ الشيخُ المتصوّفُ ممزقاً ثيابَهُ، شاقاً هدومه،:لقد ذابَ الحجرُ!

إلهي..إلهي.. خذني إليكَ لقد ضوى جسدي، وهدّني الوجدُ، وروحي لمّا تزلْ تركضُ في براريها خلفَ أخضرِ عينيها، وما خطَّ الأفقُ شالاً للضحى، لوّحتْ به أشجارُها الحبّ!

إلهي.. إلهي.. الواحدُ الصمدُ الجبّارُ القهّارُ..المتعالي..

ليتها ذابتْ-روحي- بفراتهِ العذب وشرّقتْ نحو وجهكَ!

ركضَ المريدُ ممزقاً ثيابَهُ أيضاً وخاضَ في النهرِ صارخاً:

إلهي.. إلهي.. لقد ذُبْتُ ولهاً وهمتُ.. وها أنا أشرّقُ برقرقتهِ نحوكَ يا وارفَ الظلِّ أرخِ بظلّكَ فوقَ روحي..

سبحانكَ... ما أجملكَ!!

في الرقة: ينامُ الحجرُ بصمتهِ الثقيلِ آخذاً برودةَ الأرضِ، مخبّئاً سرَّ فخارها الحنون، حيطانها الموجوعة من همس موت البارحة!

في الرقة: يركضُ النهارُ فالتاً ضحاهُ في براري الروحِ دفتراً أخضراً، وصدرَ عشبلاحقاً ما تبقّى من غيمةِ المساءِ الوحيدة!

في الرقة: تنسجُ الأرضُ سجادةَ عشبها، وتتركُ ما تبقى من الألوانِ على دفترِ الصوم حينَ تبدأ تهجدَها الأخيرَ قافلةً سطورَ الليلِ في انتظارِ الشفق!

في الرقة: تلوّحُ «هلالة، و«وردة، و«زلخة، و«هدلة، و«حربة، و«وجرة، و«فاتي، و«حدبة، و«شمسة، والحرائر الماجدات.

و.. ما تركَ القمرُ من أسماءٍ على جذعِ شجرةِ التوتِ لتنامَ ليلَها الطويلَ في ليلِ الرقةِ قصةً أخرى عن النخوةِ و«الشيمة،

في الرقة: يسمعُ الحصى خريرَ ورقرقةَ النهرِ فيدفنُ همسَهُ البارد وسادةً لسريرهِ وهو يكتبُ صمتَ الأبدِ، ثمّ يمحو السطورَ الأخيرةَ من المراثي تاركاً قُبلةَ الغيمةِ صدرَ النهار!

في الرقة: تركضُ الماعزُ بصوفها الأسود صاعدةً دروبَ اللهِ إلى تلالِ البشري لتلتفتَ إلى خدِّ النهرِ قارئةً بثغائها قصيدةَ العاشقِ المجنونِ وهي تتمايلُ ظلّاً على الروحِ وآخرَ على أشجارِ الغرب. وحليبُها لمّا يزلْ أبيضَ اللونِ كقلبِ العاشقةِ وهو يطيرُ محلّقاً في بَعيدِ البراري!

للهِ ما أودعَ من أسرارٍ في أضعفِ خلقهِ، ولسرّةِ الأرضِ بياضُ حليبها حين تلوّحُ له بشالها الأزرقِ آخذةً روحه لذاكَ الزراقِ الحالمِ البعيد!

في الرقة:لا ظلَّ لأجنحةِ العصافيرِ إلاّ وجهها، وما ارتمى من مناقيرها الصغيرةِ من بوحٍ شفيفٍ، ومنْ زقزقةِ ذاكَ الصباحِ وهو يعتلي سدّةَ الشفقِ!

للطيورِ أنْ تغني مراثي الرجالِ على أبوابِ مساجدها،ولصقرِ قريشٍ أنْ يأخذَ طاسةً من ماءِ النهرِ إلى المحيطِ البعيدِ فيحلو.

للهِ آياتهز.. ومن سورةِ «الرحمن، ألفها ولامها وراؤها وحاؤها وميمها ونونها، يا بديعَ اللهِ!يا نورَ السموات والأرض!باسمكَ اللهم، والماءِ يجري بين يديها فاتحةً لفصولِ الحبِ والحياةِ!

متلمّساً سرّةَ الأرضِ دافئاً كينونةَ المجدِ وملاحمَ الغابرين!

في الرقة:ينامُ الظلُّ تحتَ عريشةِ الدارِ متمدداً كي يسمعَ همسَها الأخيرَ وما باحتْ به عصافيرُ الصباحِ زقزقةً وإشراقاً.للمولياً أنْ تبدأَ مواويلها وللنايلِ والسويحليِ واللّقاحي والمعنّى وما صدحتْ به حنجرةُ حسينِ الحسن،:مِنَّكْ زغيّرْ زهَري وشْلون لو فزّيتْ؟بسمارْ جوّا الضلعْ يا حليو لي عنّيتْ،

صاحَ النهارُرامياً بألوانِ الضحى على حبلِ غسيلِ «الحوش، البهاءُ الجميلُ لألوانِ ملابسهم، ولهباريها «وردة الموصل، وما «هَفْهَفَ، من حنانٍ، وما شفَّ من حبٍّ!

للقهوةِ طعمٌ آخرَ في الرقةِ الوضّاحةِ، ولوجهِ الفنجانِ ما شفَّ ولاحَ من خيالاتها التي أخذتْ روحَ العاشقِ إلى دربها، وما لوّحتْ له منْ ذاكَ الزراقِ الحالمِ..أحبُّها، همسَ العاشقُ وبكى!

في الرقة:يتطاولُ النهارُ والليلُ سباقاً إلى السماءِ العاشرةِ، ولا فاصلَ إلاّ الدمعَ وهو يفيضُ جارحاً طارفَ الخدِّ أسىً، والوساداتُ اللواتي ابتللْنَ هوىً ودمعاً.

يا بهاءَ الغيمِ وهو يخيّمُ على صدرِ النهرِ أطلالَ القصيدةِ الأولى وما نثرهُ اللهُ من وردٍ وما فاحَ من زيزفون.

يا بهاءَ رقرقتهِ وهو يأخذُ سرَّ الحروفِ مطلعاً لبوحِ القمرِ.

يا بهاءها، يا ألوانَ اللهِ الداشرةِ في براري الروحِ، وهي تكتبُ اسمَها لعلَّ الغيومَ الراكضاتِ يمطرْنَ ما يشتهي العاشقُ منْ عينيها!

يا لسوادِ كحلِها، وما لفَّ حيطانَها منْ حزنٍ وما باتَ دمعُهُ الفياضُ، شرفةً لبدءِ ذاكَ النهارِ وهو يعتلي صهوةَ الغبشةِ التي دَنَتْ بين يديها!صاحَ المدى..

الفاتحاتُ دروبَ الخيل،الطالعاتُ سلاماً،النادباتُ سعفَ النخلِ،الكاظماتُ الغيظ، الباكياتُ على الورى، الجارحاتُ خدودَ الوردِ، الدامعاتُ ندىً، رقرقَ النهرُ، ثم أكملَ همسَهُ معَ قمرِ الرقةِ المحدوب:

..والموريات وعلى ظهورِ الخيلِ،وما فتّحَ نهاره وما ابتلَّ من حيطانِ الحارةِ وما ركضتْ عليه من رسومٍ وأحلام،بكى القمر:

سأدفنُ قلبي «وداعة الله، تحتَ طميها الثقيلِ،وأفلتُ ظلّي ميّالاً بين راحتيها، حتى توقفَ الأرضُ دورانها، إنها تطحنُ روحي شفقاً وغسقاً..

وسأرمي بروحي إليها حتى يباتَ الحمامُ في أعشاشهِ آمناً من البارودِ، ومحلّقاً صباحَ يومهِ الجديد، تباركَ الرحمن.

وما تبقّى لي من ماءِ وضوءِ قدميها، سأغسلُ وجهي بهِ غبشةً حين تصيرُ راحتيَّ مرايا لخدِّها والأفول!!

في الرقة:تنامُ الهمزةُ فوقَ ألفِ الحبِّ فاتحةً قلبَ الضحى، فيشتعلُ النهارُ في خفقانِ لهيبها وتتطايرُ فراشاتُ روحها مقدمةً لأولِ الربيعِ ! .

وقد صفّقَ السنونو بأجنحته

الرقة - أول الربيع ٢-٣-٢٠١٤

إعادة إصدار كتبه باللغة العربية منهج ستانيسلافسكي ضرورة إبداعية..

علي سفر

استعادة ستانيسلافسكي، هي العبارة الأولى التي تطرأ على الذهن حين نرى الكتابين الذين أصدرتهما وزارة الثقافة السورية العام الماضي لعبقري المسرح الروسي الأشهر، الأول هو طبعة جديدة من الكتاب الفائق الأهمية، الذي يحمل عنوان «إعداد الدور المسرحي»، والذي قام بترجمته المسرحي السوري الراحل شريف شاكر، وقد صدر في العام ١٩٨٣، (١) أما الكتاب الثاني فهو ترجمة جديدة لمذكرات ستانيسلافسكي، التي تحمل عنوان «حياتي في الفن»، قام بها الدكتور نديم معلا محمد (٢)، مقدماً فيها ما يمكن اعتباره النسخة الكاملة من المذكرات، بعد أن قيل الكثير عن الترجمة السابقة والتي قدمها المسرحي المصري الراحل دريني خشبة منذ أكثر من نصف قرن.

ولكن لماذا تتم استعادة ستانيسلافسكي عربياً بعد مرور كل هذه السنوات على رحيله، وعلى ظهور الطبعات العربية الأولى لكتبه؟ سؤال يستحق التوقف عنده من الناحية الإجرائية، ويمكن أن تعاد صياغته من الناحية الإبداعية ليصبح مشروع بحثٍ حاول العديدون أن يقدموا تصوراتهم عنه على الساحة العربية، وهنا نحن نتذكر تلك الأبحاث التي قدمها كل من المسرحيين السوريين الراحلين؛ شريف شاكر الذي قدم لنا كتاباً مهماً في العام ١٩٨١ هو «واقعية ستانيسلافسكي في النظرية والتطبيق»، وفواز الساجر الذي كتب باللغة الروسية بحثه الأكاديمي «ستانيسلافسكي والمسرح العربي». بالإضافة إلى أبحاث أخرى قدمها المسرحيون العربي طيلة عقودٍ من الزمن، كانت تحاول تقديم منهج ستانيسلافسكي إلى الممثل العربي الباحث عن المعرفة، إن كان في المعاهد الأكاديمية، أو على خشبات المسارح. ربما لا نستطيع ونحن نحاول الإجابة على السؤال أن نعزل الفضاء المسرحي العربي عما يشبهه عالمياً، وضمن هذا السياق يصبح السؤال حول حضور ستانيسلافسكي عربياً هو ذاته عن ديمومة منهجه في المعاهد الأكاديمية على مستوى العالم كله، وفي هذا السياق فإن جملة بريخت الراسخة عن الأمر قد تشكل مدخلاً للحديث عنه حين قال: «تُعتبر تعاليم ستانيسلافسكي ظاهرة تقدمية لأنها تشكل منهجاً» (٣).

لقد بات هذا المنهج ضرورة، فأي ممثل ينوي العمل باحترافية لابد له من أن يتعلمه، ودونه أيضاً لا يمكن للمحترفين أن يتعاطوا مع المناهج التالية، والتي انطلقت منه محاولةً تجاوزه. وهنا وفي طور الانفجار الدرامي الذي تشهده المنطقة العربية، عبر مئات وآلاف الساعات الدرامية التي يتم استهلاكها سنوياً، والتي يتم فيها دخول العشرات من الممثلين سوق العمل، يحق للمهتمين أن يسألوا عما تعلمه هؤلاء، وكذلك أين تعلموا، وأيضاً هل يقدمون أعمالهم بحرفيةٍ مبنيةٍ على منهج ما؟ وقبل كل هذا وبالعودة إلى الأصل وأقصد هنا المسرح، فإن ما يطرحه

تشيخوف في مسرح الفن - موسكو ١٨٩٩

المتابعون والنقاد يعيد الأسئلة السابقة بشكلٍ أو بآخر، لنرى كيف أن غياب المنهج لم يعد أمراً عابراً يمكن المرور عليه وتجاوزه، في عوالم مهنةٍ يفترض في من يعمل فيها أن يتحلى بأعلى درجات الإتقان والمهنية، خاصةً وأن هذه التفاصيل هي قوام المنافسة بين الممثلين.. هذه الأسئلة وأياً كانت الإجابات التي ستليها، تضعنا في جوهر الفكرة التي يفرضها علينا ستانيسلافسكي، ونحن نستعيد منهجه عبر إعادة طبع كتبه، بعد أن نفذت من المكتبات منذ زمن طويل، وبعد أن اقتصر التعاطي معه على المنصات الأكاديمية، دون أن يرى الكثيرون الفارق بين من يعمل وفق هذا المنهج، وبين من يعمل من خارجه، بسبب حدة التسويق الاستهلاكي للمادة الدرامية. منهج ستانيسلافسكي هو المنهج الأكمل في تدريب الممثل، فهو المخرج الأول الذي عمل على الأمر (٤)، وهو يقوم على ثلاثة مستويات لابد من الغوص فيها كي يستطيع الممثل أن يكون أهلاً لمهنته، وهي: إعداد الممثل، بناء الشخصية، إعداد الدور المسرحي. لقد واجه الممثل العربي وفي محاولاته السابقة للحصول على النصوص الأصلية، الكثير من المشاق، وذلك بسبب من توفرها بين يديه بلغته أولاً، وبسبب الأخطاء في ترجمة المصطلحات فيما قدم سابقاً، وكذلك بسبب من القراءات التأويلية التي قدمها من حاولوا نقل المنهج إليه، وفي هذا الصدد يقول المخرج السوري الراحل فواز الساجر في محاولته قراءة علاقة الممثل العربي مع نص ستانيسلافسكي: « إن الفهم الخاطئ لـ (النظام) كان، في كثير من الأحيان، سبباً في نقاش حاد حول جوانبه الإيجابية و«السلبية». وكان هذا يحدث تارة بسبب الاختلاف الفكري بين المترجم وبين ستانيسلافسكي، ويحدث، تارة أخرى، بسبب التفسير التعسفي لطريقته.» (٥). وطبقاً لهذا فإن أفضل ما يجب فعله تجاه هذه المسألة إنما هو محاولة نقل النص من لغته الأصلية، وعبر مترجمين مختصين قادمين من المعاهد الدرامية، إذ لا يمكن للنقل عبر لغة وسيطة أن يكون محيطاً بكل التفاصيل الدقيقة في المنهج، كما أنه لا يمكن للمترجمين الذين يعملون في النسق الأدبي أو الفلسفي أو غيرهما أن يكونوا على دراية بالوقائع التفصيلية في عمل الممثل على الشخصية والدور، بكل ما يعني ذلك من خطوات ممتلئة بالتفاصيل. ولهذا فإن توقفنا عند ترجمة المخرج السوري الراحل شريف شاكر

لمؤلفات ستانيسلافسكي «إعداد الدور المسرحي» و«إعداد الممثل- الجزء الثاني»، يبدو مهماً ومبرراً، فعمله لا يخرج عن الضرورات السابقة، خاصةً وأنه قد قدم للمكتبة الأكاديمية العربية قبل ذلك كتباً مهمةً قام بنقلها عن اللغة الروسية ككتاب «التكامل الفني في العرض المسرحي» لبوبوف، في العام ١٩٧٦، وكذلك كتاب «في الفن المسرحي» لفسيفولد مايرخولد بجزئيه، في العام ١٩٧٩، كما أننا لا ننسى كتابه «واقعية ستانيسلافسكي في النظرية والتطبيق» الذي صدر في عام ١٩٨١. أما كتاب «حياتي في الفن» الذي يقدمه لنا مترجمه د.نديم معلا محمد، لأول مرة من خلال لغته الأصلية، فهو نسخة كاملة غير منقوصة منقولة عن الأصل الروسي، بعد أن ظلت النسخة السابقة التي قدمها دريني خشبة هي الوحيدة المتداولة منذ العام ١٩٥٩، وقد لاحظنا من خلال المقارنة بين النسختين وجود الكثير من النواقص في نسخة دريني خشبة، الذي قيل أنه كان يقوم بوظيفة محرر فني للمادة المترجمة، ولعل تركيز خشبة على بعض التفاصيل وإهماله لغيرها إنما يعود إلى رغبته في وضع مادة ستانيسلافسكي الإبداعية في يد طالبيها بأسرع وقت، ولو جاء ذلك على حساب تكامل النص ومطابقته للأصل، ولعل هذا الأمر لا يلغي أهمية ما فعله الرجل، والذي يعتبر من رواد عملية النقل المعرفي للفنون المسرحية في المنطقة العربية. الحاجة إلى منهج ستانيسلافسكي، ليست أمراً قابلاً للنقاش، حتى وإن جاءت الرغبات الشخصية للكثير من المبدعين العرب متجهةً إلى مناهج تالية لمنهجه، كمنهج بريخت، أو فاختانغوف، أو مايرخولد، أو أرتو، أو غروتوفسكي، أو باربا..! ففي كل المناهج أو الأساليب التي قدمها هؤلاء الكثير من منهج ستانيسلافسكي، فهي إن لم تكن مكملة له، فإنما هي تحاول بناء حالة وسيطة بينه وبين تصورات أخرى، وحتى حين تكون في الجهة المقابلة له، فإن وجودها قائم على وجوده.

هوامش:

١- ستانيسلافسكي، كونستانتين، إعداد الدور المسرحي، ترجمة: د. شريف شاكر، ط ٢، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ٢٠١١.

٢- ستانيسلافسكي، كونستانتين، حياتي في الفن، ترجمة: د.نديم معلا، ط١، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة- دمشق، ٢٠١٢.

٣- سورينا، تمارا، ستانيسلافسكي وبريشت، ترجمة: ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٥٠

٤- الياس، د.ماري- قصاب حسن، د.حنان، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، بيروت، ١٩٩٧، ص ٩٠

٥- الساجر، د.فواز، ستانيسلافسكي والمسرح العربي، ترجمة: د. فؤاد المرعي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤، ص ٦٣-٦٤.

ثـــــورة ولـــــكـــــن..!!

عزة سليمان

هنا عينٌ للشمس استفاقت، وعلى الضفّة الأخرى غفت، فطوقتنا أيادي الظلام، هربتُ بنفسي بحثاً عن أرضٍ ليس للموت فيها عنوان، وحيث يمكن لأجسادنا أن تعانق الحياة بسلام، ودون أن أعيش في احتمال الموت (رقماً) سقط سهواً في مذبحةٍ أُعدت للإنسان، على أعتابِ الخوف نقف والأبواب موصدة، فهل من يفتح الباب؟ حتى في جوف روحي بحثت عنك ولا زلت، كما تتصارع القذائف وألسنة اللهب في الجوار، كذلك في داخلي تتصارع الأفكار وأحياناً تتفق عليّ لأتيقّن بوجود مؤامرةٍ ما آمنتُ فيها، نظام بشار يواجه مؤامرة !! والمعارضة تواجه مؤامرة! أمريكا تواجه مؤامرة! وو.. وفقط الشعب المغلوب على أمره لا يواجه مؤامرةً وإنما كان الطعم! لطالما حدثتني نفسي بأنه لا وجود للمؤامرات، وإنما هي الأوهام فقط تحركنا والحقائق لازالت في الظلمة رهينة مفتاح، رؤيتها مؤلمةٌ ومحرقة كما هي عين الشمس، كلما تألقتَ فاعلم بأن الحقيقة تلامسك، إذ لا وجود للحقائق الناعمة إلا عند السذّج. هل يحدث للحرية أن تُصلب في مرتعها؟ هل يحدث للثورة أن تغنّي الحرية بشفاهٍ نارية، وتبطش بيد الاستبداد الحديدية أبناءها؟! يدّ كنت أظن أن الثورة بترتها؟ ولكن يد الحق مبتورة. الثورة ليست ملكاً شخصياً، لا أحد يملك حق مصادرتها عند أول نقطة اختلاف، وإنما الثورة هي الحق لأيّ إنسانٍ في الاختلاف، فلولا الاختلاف لما كان للاتفاق معناه، أليست الحرية هي قبول الآخر؟ إذا كان الخوف من الموت موتٌ قد يمتد مدى الحياة، فالخوف من الظالم موتٌ بشكلٍ آخر قد يمتد مدى الحياة قال أحدهم: (كان يمكن للقتل أن يكون لأيّ سببٍ كان، ويمكن للقاتل أن يحمل أيّ وجه، فالكل يشكّ في الكل، وكلُّ دمٍ مستباح، حتى دم الأقارب والجيران، ما دام القاتل على قناعةٍ أنه يقتل بيد الله لا بيده) شعبٌ عاش في عصمة الطغاة يحتاج إلى الكثير من الدم لإيجاد طاغيةٍ آخر، في الوقت الذي يحتاج فيه إلى القليل من الرحمة لإيجاد إنسان، فلنرحم بعضنا.

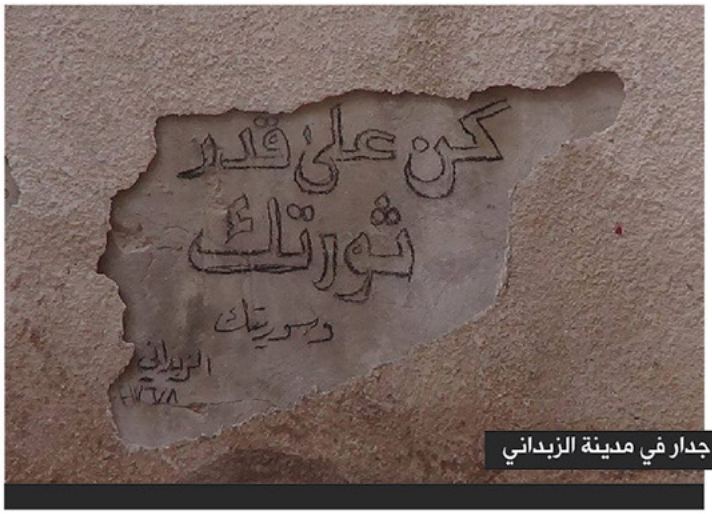

جدار في مدينة الزبداني

عـــولـــمـــة الـــخـــراب

سامر القطريب

في عالمٍ مسيّرٍ نحو الفناء، قائمٍ على ركائزَ آنيّةٍ لا نعيشُ وفقه من مفاهيمَ، عن الحب، الجمال، السُلطة، الموت، الحياة وحديثاًالثورة!، في هذا العالم يصبحُ القبضُ على اللّحظات الإنسانية العابرة للأزمنة محض التَّمرُّد على الحياة والحذر منها، التعامل مع الأبدي في المجتمع وفي التاريخ وتحطيم قداسته المصنوعة، هي المهمّة الصّعبة، هكذا تقول لوحةٌ تنتظر اكتمال تكوينها بريشةِ الفنان التشكيلي سهيل ذبيان.

في غرفته الصغيرة المكتظّة بذاكرةِ الحرب في لبنان ورائحة الحرائق في سوريا لوحاتٌ تشدُّك لقراءتها، تفكُّ الضباب عن ذاكرتك وتعبث بعواطفك وهواجسك، الفرق بين فنٍّ وآخرَ في زمن التثوير وصناعة الرموز، هو أنَّك لن تخرج هارباً من أمام اللوحة وأنت تنظر للسماء خوفاً من برميل يسقطُ لكي تتعثر برأس تدحرجَ من إحدى المقابر الجماعية في سوريا، ولن ترى شهيداً يُقتلُ مرةً أخرى في اللوحة.

بعيداً عن الوطن، في بيروت مدينة الممكن والمستحيل، وأمام تدافع صورٍ مأساويّة تنقل الموت السوري بسخونته ليحتلَّ الغرفة، يواجه سهيل ذبيان الخراب ومرض البلادة الذي أصاب حواسنا بجماليات اللّون وفضاءاتِ الفراغ، أدواتٌ بسيطةٌ يبتكرُ منها عالمَه النَّقيض، فحسب قوله: «الفن انعتاق نحو الحرية، والكلام عن الموت بعد حدوثه لايُضيف شيئاً، بل يحوّل الفنَّ إلى خبرٍ صحفيٍّ رديء، على الفن أن يوضّح قابلية

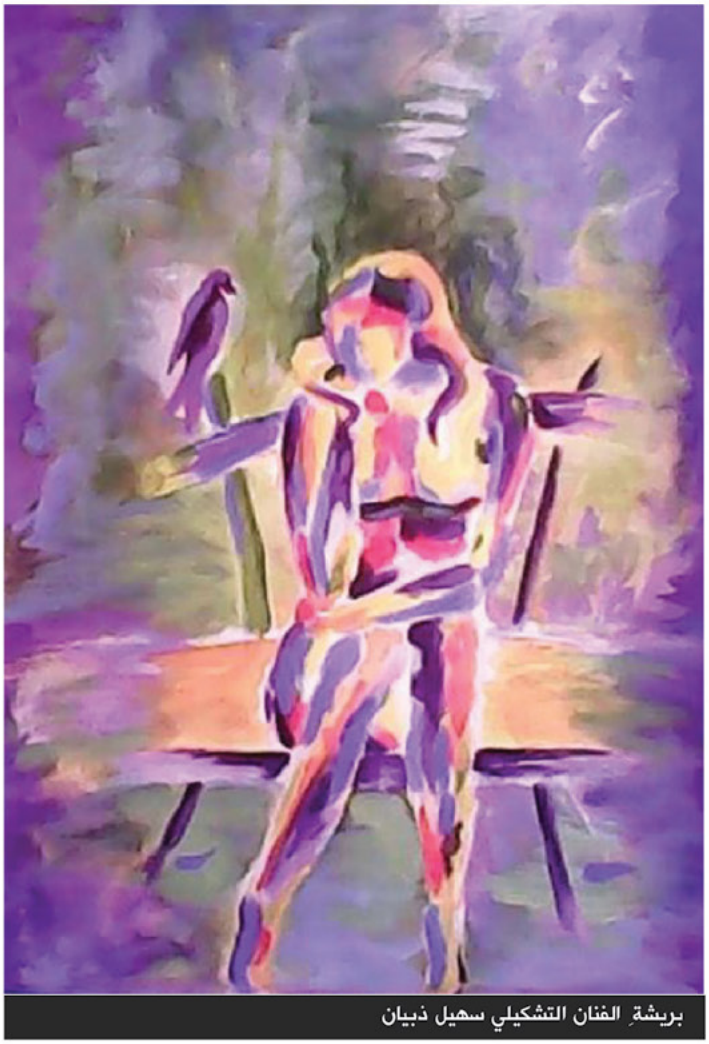

بريشةِ الفنان التشكيلي سهيل ذبيان

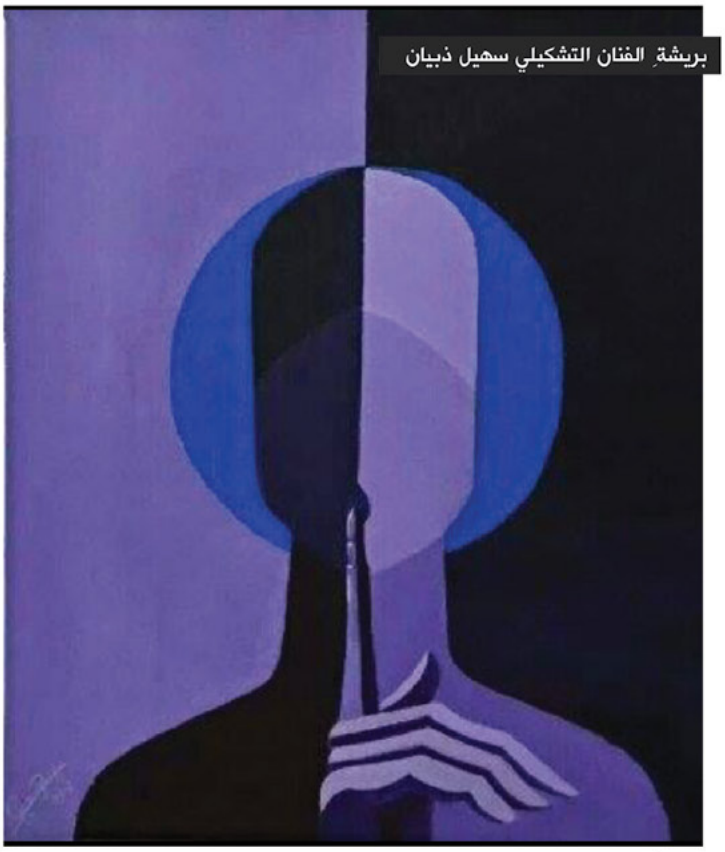

بريشةِ الفنان التشكيلي سهيل ذبيان

كلِّ شيءٍ للتغيير».

فوق المرسم الصغير امرأة غابت ملامحها كما غبتَ أنت، تستفزُّ اللّوحة رغبتكَ المكبوتة للصراخ، ثمّة امرأةٌ في مكان ما تخرجُ من بين عروش الرُّكام، تثورُ على صمتها وتُراقبُ الموتَ اليومي، هي تنتظرك غيرآبهةٍ بغرابٍ حطَّ خِلسةً فوقَ كتفها، صوت الغراب واضحٌ يُنبئ بالفوضى وبتداعيات الحرب الأخلاقية والنفسية.

لا يتحدث سهيل ذبيان عن الثورة فهي برأيه قائمةٌ، أمّا الكلام عن الموت في زمنِ الحرب ترفٌ لا أكثر.

في مدينةِ الباب قربَ حلب، حيث كان يعمل، تركَ الفنان عدَّةَ أعمالٍ نحتيةٍ وغادر، بعد أن سادَ العنفُ المنطقة، وبالتأكيد لم تسلَمْ أعماله من أيدي تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وأخواته التي تحوّلُ الجمالَ إلى رماد.

تتميَّز لوحات سهيل ذبيان بقدرتها على محاكاة الجزء الحي في داخلنا، فهي بعيدة عن تصويرالعنف بشكله الفجِّ والمنفِّر، ولا تحتاج تأويلاتٍ باطنية، هي وقفةُ تأملٍ لانعكاسِ ذواتنا، حالة الإضطراب والفوضى التي تحاصرنا، قوانينا الشخصية التي نعيش بها بعد الثورة ومحاولةُ ابتكارِ الهويَّة، واقعٌ يظهرُ في لوحةٍ يندمجُ فيها الجسد مع العالم الموروث قبل يضع أول خطوةٍ خارجه ويقفز إلى فضاء الحرية.

تحتاج سريالية الثورة السورية لقراءةٍ فنيةٍ عميقة، تتجاوزُ ظاهرَ المأساة بكلِّ عناوينها إلى ماوراء لغة الجسد الحي والميت، وتنتقل بك بعيداً عن عولمةِ الخراب حيث الكلمة الأخيرة للعقول الطّائشة كالرصاص.

لكلِّ إنسانٍ ثورته، يختصرُ ابن مدينة السويداء تجربته من خلال كثافة المعنى في لوحاته،«الفن موقفٌ جماليٌ من الحياة، والفنانُ صاحب هذا الموقف،أما ثورته فهي كما يقول قديمة، بدأت عندما دقَّت (الدّاية) بكفِّها على ظهره فكانت صرخته الأولى بوجه أمه المرهَقْ «أنا جائع!».

لقمان ديركي
الأرض والحرية..

يعيش السوريون حالتين متناقضتين تماماً في طريقهم إلى الحرية، حالة ما زال فيها السوري على أرضه، لكن بلا أمان نهائياً، فهو معرض للموت بكل أشكاله المتعارف عليها على الأرض، من الموت بقناص، إلى الموت ببرميل، مروراً بالموت تحت التعذيب، والموت تحت التكفير، وحالة يفتقر فيها إلى الأرض، لكنه يستشعر الأمان في بلاد غريبة، فلا موت هنا خارج الوطن، لكن المتاعب موجودة، والتهديد بالموت موجود أيضاً، وتتزامن موجات النزوح الخارجي من منفى إلى منفى مع موجات النزوح الداخلي من مَنزح إلى مَنزح، وفي مجمل الحالات يختبر السوري الآخرين، بعد اختباره القاسي لنفسه، فها هو يختبر العروبة ويخرج في النهاية إلى احترام العثماني الذي حاربه بداية القرن لخاطر عيون العروبة، وبالطبع لا مجال للندم، لكن المجالات مفتوحة للسخرية من العروبة، ومن كذبة الوطن العربي، ومن هشاشة ما كان يتبجح به من عروبة في وجه أقرانه الكُرد السوريين على الأقل وهو يتهمهم بالانفصالية، وبالطبع فإن الكُرد اختبروا الفكرة الكردستانية الكبرى، وخلصوا إلى التهكم من المقدس القومي الذي بدا وكأنه وحشٌ يستغل الضحية السورية الكردية على أكمل وجه، وباتوا متأكدين أن الحرية لا يمكنها أن تمشي تحت شعارات لا يحترمها من يتبجحون بها كل لحظة وهم يحاولون متناحرين تشكيل قطعان مآلها الذبح على عتبات كلمة مقدسة لا يجوز المساس بها لدى الكرد السوريين وهي كردستان، لكن لا بأس، فما حدا أحسن من حدا، وكما أن للعرب قياداتهم الفاسدة، فهاهم الكرد يقدمون القيادات الفاسدة أيضاً، فالإستقلال أصبح سقفه زعامات مستفيدة هويتها القومية تسمح لها بركوب أبناء قومها وقيادتهم إلى جحيم الفناء والعدم، وفي الداخل كان الوضع على مستوى الصدمات أرحم، لأن السوريين في نهاية الأمر، وبشكل عام استقبلوا بعضهم البعض كما يجب في الحدود الدنيا من الواجب، رغم بشاعة الإستغلال من مَنزح إلى آخر في بعض الأحيان، لم تعد دول الجوار بدول جوار حقاً، ولا الدول العربية بدول شقيقة حقاً، تركيا فازت في سباق الأخلاق، لكن لا أحد يريد أن يتفاءل، فالكل على قلق من تغيرات مفاجئة تحول السوري من ضيف عزيز إلى شيطان رجيم مطرود من جنة المنفى إلى ظلمات المجهول الجديد بعد تجربة السوريين في مصر الشقيقة تحديداً، فبعد شهر العسل السوري المصري أيام مرسي،والذي انقلب إلى جهنم الحمرا حال استلام السيسي، صار السوري يشك بكل شيء، والشك مبدأ هام من مبادئ الوجود، أنا أشك إذن أنا موجود، والشعب السوري صار شكاكاً متوجساً حتى أمام أقوى أفعال الخير، ولمَ لا، فالمقدسات الدينية باتت عبئاً عليه وهو يرى الكتائب الإسلامية تتسابق في الفساد، ليست مختلفة بشيء إستراتيجي فارق عن النظام، وكأنهم صنيعته التي لطالما تتحدث الأوساط عنها كذلك، وبالطبع فإن (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام) هو النموذج الذي على السوريين معاينته ليروا شكل النظام المقبل، فإذ به يسقط قبل أن يجد لنفسه موطئ قدم على مدى طويل، التاريخ يتبارى في سوريا، الماضي قادمٌ إلى فخ الحاضر السوري ليحترق ورقة ورقة، فورقة القومية احترقت، وورقة الدين احترقت، وورقة الطائفية تحضر نفسها للإحتراق، وورقة الوطن/الأرض احترقت أيضاً، فالسوري صار بإمكانه أن يثبت

وجوده خارج الديار، بل وإنه بدأ بالعمل على ذلك، ولم يعد حديث الصراخ الثوري هو المسيطر الآن، لا، لقد بدأت دورة حياة جديدة في المنفى، وصار من الضروري أن تمتلك مفردات وجودها، السوري يتحرر رويداً رويداً من كل الكذبات، وإبداعه قادم ليغزو العالم، وربما احتراق الماضي نهائياً سيكون في سوريا، وفي ذلك تبعات على المنطقة كلها أن تتحمله، أن تتحمل تبعة انهيار كل أنظمتها حال انهيار النظام السوري، ولربما يشمل الأمر العديد من دول العالم، لذلك نرى كل العالم يسند هذا النظام، بل ويشجعونه على الإجرام كل يوم، فالنظام السوري هو العرين الأخير للشمولية السياسية التي كان لنا منها نصيب عبر الأب والإبن، ولا بد لهذا الصرح من الانهيار، ومع انهياره ستنهار كل الشعارات التي حكم باسمها مجرمون عملاء لسادة العالم في الشرق الأوسط، الثورة السورية ستحرق كل ما هو قذر في طريقها نحو تعقيم وتطهير أرض مدنسةٍ منذ خمسين عاماً. فالحرية التي يحملها من تحرروا من الأرض حتى ستغزو الأرض بمشاعل النور الفادح.

فيسبوكيات لقمان ديركي

Lukman Derky تم التعديل 12 ابريل الساعة 02:32 مساء

- بتشق الباسبور وبتقلهن أنك سوري ومهدَّدْ.. والا اقلَّك..قول أنك عراقي.
- بس قالوا لي أنو هون بيمشي الفلسطيني أسرع الشي.
- ثواني...لأ..قله كردي
- كردي سوري ..والا عراقي ..والا إيراني..والا تركي؟!!
- ما بعرف..خيو قلهن مصري..هلأ كمان حابكة بمصر.
- لأ مصري ما عاد يمشي..المصريين عم يقولوا هلأ إحنا من سوريا.
- طيب خلينا نقول الحقيقة أحسن الشي..أنتشو؟! ومن وين؟!!
- نسيت ..وحياة اللي خلقك نسيت.....

من مذكرات سائح بالصرماية

Lukman Derky 17 مارس

- نحنا سوريين بابا؟!!
- إي بابا..سوريين.. بس بوعدك قريباً نصير ألمان.
- لأ بابا خلينا نصير طليان أحسن الله يوفقك.. مشان فريقي أي سي ميلان.
- لأ بقى إذا الشغلة هيك أنا برشلوني.خلينا نصير كتلان.
- كتلان؟!! إي موليستقلوا بالأول عن اسبانيا؟!!
- اي رح يستقلوا السنة الجاية..
- وشو بدنا نعمل من هون للسنة الجاية؟!
- بنصير إسبان..وبسيستقلوا الكتلان..بنرجع كتلان.
- ممتاز..أهمشي ما نبصم باليونان.

من مذكرات سائح بالصرماية

الشيخ أحمد الصياصنة - شيخ الثورة السورية

أحمد الصياصنة من مواليد ١٩٤٥/٤/١٠ درعا البلد

خطيب الجامع العمري بدرعا منذ سبعينات القرن الماضي، حاصل على الليسانس بالدعوة وأصول الدين من الجامعة الإسلامية، أول من بارك الحراك الثوري منذ بداياته والتف حوله الشباب ونصبوه قائداً للثورة، وملهماً لها، كما اختاره الشباب لمحاورة النظام، ليحاور جهات عدة للنظام السوري، منهم رئيس النظام الأسدي دون جدوى أو نتيجة، فلاحقته الأجهزة الأمنية وحاولت تشويه صورته، أعتقلته عدة مرات وحاولت أغتياله الا انها قتلت إبنه أسامة ابن الرابعة والعشرون ربيعاً في إقتحام درعا .

القـــنـاص II

«من يحمل الرصاصَ في يديه، يصيرُ خفيفاً من الحياة كالريش»

عباس علي موسى

نصّ بعنوان «القنّاص»، وهو يُعنى بفلسفة الرصاصة عن طريق الأدب، والقتل بعيني القنّاص الذي يقتلك أحياناً وفي أحيان أخرى يقتل عدوكَ، أو يصيرُ نافذةً على هذا العالم. هذا النص عبارة عن فاتحة لتجريد الرصاصة من البارود، وحشوها بالحبر. هذا النص جزء من نصوص عديدة تحمل ذات العنوان، أريد أن أحيلها للقرّاء، فالقراء في زمن الثورة لم يعودوا قرّاءً فقط، إنهّم ثائرون.

I

رصاصات قنص

أنا الرصاصةُ الأُولى التي أطلقها أوّلُ قنّاص، لم تُصِب أحداً لكنّها قتلتهُ في عُقر كرهه

أنا الذي أصابتني الرصاصة التي أطلقها القنّاص عليكم

لم تجرح مني شيئاً

بل حركت السكون في داخلي

أنا الصورة الأولى لأول خروجكم على العتمة

أنا فلاشة ضوء في عتمة الزيف، وعدسةٌ تلتقط ما يتناثر هنا وهنا من أحلامكم...

II

وكان الطريقُ مجروحاً بالرصاصات الطائشة، وعلى جانبيه فوارغ الرصاص.

في كلِّ عقدةِ طريقٍ تراهُم يَحملون أسلحتَهم خِفافاً من الحياة

(مَن يحمل الرصاصَ في يديه، يصيرُ خفيفاً من الحياة كالريش).

رائحةُ الرصاص تُلاحق أنفكَ العتيد

القلقُ يجعل لحظتكَ في الشوق وأنت تجعل من جسدكَ فَراشاً لحُلمكَ قلقاً كالموت

صوتُ الرصاص لم يُثر فيَّ فزعاً، إنّه أيقظني من الحُلم فحسب، أيّها القنّاص

الرصاصُ يفقأ أعينَ الحلم، الحياة فقاعة رقيقة كحلم وجميلة كدالية

لا تفقأها أيها القنّاص كيما يظلّوا نائمين أياماً أُخَر

في طريقِ ما رأيتهُ، كانَ يبحثُ عن زاوية لتنظيف بندقيته من العرق، يحشو بندقيتهُ أملاً، فيما ينتظره قناصٌ آخر.

III

رصاصات طائشة

- بمسدس /لعبةٍ يرتمي الأطفال في تمثيلهم للقتل (مشهد القتل هو ذاته، لكن بواقعية أكبر).

الأطفال يدركون الفارق بين لعَبهم وبين ما يكون حقيقةً، حيثُ صوت المدافع لا يُشبه المفرقعات، والدماء التي تسيلُ من جسدٍ أصابهُ قنّاص، لا يُشبه نفضَ الغبار بعد انتهاء لعبة القنص الطفولية.

- رجلٌ يحملُ طفله عالياً ليهتف للحريةَ

(الطفلُ مدركٌ لما يقوله، والأب يدرك أن ابنه مدركٌ، لم يعد أحدٌ صغيراً) في الثورات يكبر الجميع.

أمـــومـــة عـــلـــى غـــيـــر مـــوعـــد!

لبابة الهواري

مشاغباً كغيره من الأطفال، لم يغفر له سوى ذكاؤه المُتّقِد دوماً، لا أستطيعُ طرحَ سؤالٍ كاملٍ إلاّ ويكون الجواب قد فرَّ من شفتيه، يتبعه بإغلاق فمه بأصابعه العشرة ناظراً للأرض إذ يُدرك جيداً عقوبة المنع عن التحدث لخمس دقائق لمن يجيب بغير دوره، حركته تلك كانت تجعلني أضحك رغماً عني وأغفر له خطأه، كنت أتصنّع الغضب مع ابتسامةٍ يلمح طيفها وأنا أحاول تأنيبه، أو حتى رميه بنظرة عتاب يستقبلها بضحكةٍ من خلف الأصابع البريئة.

هذا كان حال اليوم بأطوله مع زيد، طفلٌ يجعل من خيمة التعليم مكاناً شهياً للتعلم بذكائه وفطنته وسرعة بديهته.

عندما أتيت إلى الخيمة صباح اليوم التالي وجدته يجلس عند باب الخيمة، يقلّب التراب بعود خشبي يشبه غصناً صغيراً، ابتسمت له وأنا أقترب منه: زيد ألن تدخل؟ حان موعد الدرس.لم يجب زيد، توقفت وانحنيت ليصبح وجهي مقابل وجهه، لكنه ابتعد للخلف قليلاً،

- زيد ما بك؟

أشاح بوجهه وهو يقول: «لا شيء».حاولت إدارة وجهه إليَّ لأكلّمه، لكنه أبعد يدي بعصبيةٍ وهو يقول: «اتركيني!

كما تريد « تمتمت بها».جلست بجانبه وأمسكت غصناً آخر كان مرمياً على الأرض وأخذت أقلب التراب مثله دون أن أنبس ببنت شفه.

-ألن تبدئي الدرس؟

-ما رأيك أن أؤجل الدرس اليوم؟

هزَّ برأسه مؤيداً ولم يتكلم. بقينا هكذا لدقائق أختلس النظر لوجهه الذي يُشيْحه كلما لمح نظرتي، ونقلّب التراب، قلت بدون سابق إنذار:

«أمس كان يوماً متعباً، عملت كثيراً، ولم يكن لدي نقود لذا اضطررت للعودة للمنزل مشياً.. أشعر بكثيرٍ من التعب».

ارتفعت عينا زيد إليّ بنظرة حزن وشفقة على حالي، وبقي صامتاً، أكملتُ:«ولم أستطع النوم أيضاً» بقي صامتاً كما هو لا يحركه شيء.

حاولت الاسترسال بالشكوى، لكني وجدت أن الأمر غير مجدٍ، عدت لصمتي ليقطعه هو بقوله: ضربتني!!

حاولت ضبط انفعالي لأسأله بهدوء: من؟

-أمي.

-ربما فعلت شيئاً خاطئاً.

-يدها كانت قوية.. خدي يؤلني

وضع يده على خده، فوضعت يدي على يده، واقتربت منه.«أنا أحبها.. لكنها تضربني.ضممته وأنا أقول سأذهب معك لأتكلم معها. «ربما تضربك أنت أيضاً. ابتسمت وأنا أطمئنه: «لا تخف.. سيكون كل شيء بخير».

تسربت ابتسامة لوجهه استغليتها لأقول له:«ما رأيك أن نبدأ الدرس؟ هيا للخيمة.قضينا وقتاً جيداً بقية اليوم،كنت أحاول إعادة زيد للدرس كلما لاحظت شروده. في نهاية الحصة اقترب مني، ليتأكد من نيتي بالذهاب معه. ربتُّ على كتفه وأنا أضع حقيبتي على كتفي وأمسكت بيده ليدلني على خيمته.مشينا في المخيم، كانت الخيم على مد البصر تتصل مع الأفق، هنا حيث المكانُ أشبه بالخط الفاصل بين الحياة والممات.

دخلنا الخيمة، كانت ضيقةً فيها فراشان جارت عليهما أمطار الشتاء،بعض الملابس المعلّقة على حبلٍ من أول الخيمة لآخرها، امرأة في أواخر الثلاثين وربما أكثر،في وجهها من الهموم ما يكفي لوطن! بيدها طفل صغير لم يكمل أشهره الستة، وفي زاوية الخيمة طفلان آخران بعمر زيد، ربما أصغر قليلاً، يلعبان بزجاجة مياهٍ معدنية فارغة بديلاً عن الكرة!

عندما رأت المرأة زيداً معي ظهر عليها بعض الارتباك، قبل أن أبادرها السلام قالت: «لابد أن هذا المشاغب تسبب بمشاكل جديدة».ابتسمت وأنا أنظر لزيد: «زيد اذهب والعب مع إخوتك»، نظر إلي نظرة امتنانٍ وركض باتجاه زاوية الخيمة، مدتت يدي مصافحةً المرأة ومعرفةً عن نفسي

-أنا معلمة زيد .

-أهلا بك تفضلي.. وأشارت للفراش المدود على الأرض.

جلستُ بجانبها، سَحَبَتْ وعاءً يشبه القدر ووضعت فيه الطفل الذي كان في يدها، تملكتني الدهشة مما رأيت!! حاولتُ تبرير فعلها: «لا يوجد مكان آمن أضعه فيه وكما ترين لدي ثلاثة أطفال، وأنا بمفردي هنا، وليكتمل النحسفتحوا باب الخيمة ودفعوا لي بهذا الطفل الذي لا أعرف عنه شيئاً – مشيرة لزيد– وليس له عملٌ سوى معاندتي والمشاغبة، كلما وضعت الولد في القدر قام بقلبه، مما يدفعني لضربه! أين أذهب بالأولاد أو به؟!!

قاطعتها: حقيقةً هذا ما أتيت من أجله.

أكملت بسخرية: بإمكانك أخذه إذا كنت خائفةً عليه، المكان لا يتسع لأطفالي ليتسع لطفلٍ غريب!

صَمَتَتْ وصَمَتُّ، وبقينا لدقائق، قمت من مكاني باتجاه زيد، قبلتُه، ثم نظرت إليه وأنا عند باب الخيمة

-سيكون ابني.. قريباً.

حلب

غازي إبراهيم الذيبة

سيبدأ هذا النهار وحيدا بوحشته
والنساء سيعزفن لحن الوداع الممدد
في آخر الموت
حين يرين الدماء على حافة البئر
هل مرّ يوسف من ها هنا
وهل أيقظ القتل صوت العصافير فوق اللهب؟
ستخبو الحرائق بعد قليل
ويخبو الدم المتطاول في الطرقات
وتأتي حلب
فيا من يمرون من بابها في المساء
هنا دمعةٌ سقطت في الطريق
وهناك، عند صبح الرجاء
فتىً كان يصرخ في جرحه
وأمّ تنادي على طفلها في الشقوق
قليلاً من الصمت
سيمنح هذا البكاء الطويل
صباحاً صغيراً
قليلاً من الموت
سوف يعيد الغبار إلى ركنه في الممر
وحين تمرّ القذائف فوق سطوح المباني
وحين يمرّ العدو من الباب
والطرقات الحزينة
سوف يموت القمر.

شتاء في مخيم

غازي إبراهيم الذيبة

أنهضُ بكامل جوعي للأمل
من عاصفة الرماد
هُنا ..
تحتَ شجرةِ الكينا الغامقةِ بخضرةِ أوراقِها
عندَ بوابةِ المخيم
لوحتْ هراوةٌ صَغيرةٌ لي
ما أصغرَ حلمي
وما أبعدَ الكلماتِ عن المدفأة..
لم تكن الأرضُ دافئةً كعادتها
لم تكن السماءُ رحيمةً
كانت سيولُ النكبةِ تتراقصُ فوق الأولاد
وهم يعبرون الطرقاتَ إلى الوحل
وهنا..
على طرف المعنى تجلسُ الخيمةُ
يجلسُ صوتُ الندهاتِ الحارةِ على الله
تجلسُ دموعُ أمهاتٍ مريضاتٍ بالأمل
يجلسُ آباءٌ يتفقدون أصابعَهم المقطعة
في معارك الظلال
يجلسُ أولادٌ وهم يلوكون لَسعَ أحلامهم
بالدفء
كُنا ننتظرُ العرباتِ الضالة لتوزّعَ علينا الخبز
وحين تأتي يدٌ صغيرةٌ لتعطينا حلمًا
نُقبّلُ الريح
ونركضُ بأحذيتنا الممزقةِ إلى العراء
كأنهُ الشتاءُ المريضُ بالسيول
لم يكن يعرف أحداً منا
يقضمُ أطرافَ الخيمة
ثم يركضُ بها إلى هناك
يسقطُ الجوع
يسقطُ الخوف
يسقطُ السلاحُ المُخبَّأُ تحت الوسائد
يسقطُ رجالٌ بشورابهم الكثة
تسقطُ نساءٌ بأسمالهن الحزينة
يسقطُ كهولٌ تحت شجرة الكينا
يسقطُ السروُ العالي
يسقطُ الحلمُ
يسقطُ الأملُ
وفي ساعةٍ مُرّةٍ كانت الجثثُ الطرية
تتشمسُ في الطرقات
مرصوصةً قربَ آهةٍ صغيرة
نبحثُ لها عن قبورٍ نائية
حتى لا نبكي من لَعنة البرد
أيتها الرياحُ العاتيةُ
والمصابيحُ المعلقة في خُرافة الضوء
أيتها النساء الحبالى بالوهم
أيها الرجال العائدون من الخزي
أيتها النكبة
يا مرضى العطف
لا تتغنوا بالشتاء
لا ترقصوا على جثث أصدقائنا في السيول
لا ترسلوا لنا بطانياتٍ وكالة الغوث
لا تعلمونا كيف نحبُ الله
لا تتقدموا منا لنبوسَ لِحاكم الأنيقةِ
كل شيءٍ هنا يسيلُ
الثقوبُ المعلقةُ في الخيام
الصفيحُ المزقُ برصاص الأخوة الأعداء
مطابخُ الأونروا المريضةِ بالجرذان
وجوه لصوص الخيام المجدورةِ
عصيّ رجال الأمن المختلين عقلياً
الذبابُ الأزرق
المراحيضُ المفتوحةُ على الغارب
الجهاتُ المانحة للعار
أبواقُ المتحدثين باسم الألم
الغربانُ الواقفة على أعمدة الكهرباء
حقولُ الخوف المديدة في الجوار
كل شيءٍ يسيل
سوى الدموع.

إعداد بشرى جود - الرسوم : للفنان محمد أبو زيد

شعراً لأصحاب القبعات البيضاء

#SAVE ALEPPO